

بغية الأذكياء

فِي البحثِ عن كراماتِ الأولياءِ

انتخبَها العالِمُ العلَّامةُ البَحْرُ الفهَّامةُ

الشيخُ مُحمَّد محفوظُ بنُ عبدِ اللهِ التَّرْمَسِيُّ

غَفَرَ اللهُ ذُنوبَهُما وسترَ

عيوبَهُما فِي الدَّارينِ

ونفعَنا به

آمينَ

–

طُبِعَ على نَفَقةِ حَفيدِ المُؤلِّفِ

حَرِيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْفُوْظٍ التَّرْمَسِيِّ

بِيْتِعَانْ الدِّمَائِيِّ

كلمات الشيخ العلامة كياهى ميمون زبير السارنجى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي عباده الصالحين اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له رافع درجات أوليائه العارفين وأشهد ان محمدا عبده ورسوله إمام السادة المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وحزبه المفلحين.

اما بعد فقد أنعم الله المولى الكريم وتفضل علي وشرفنى وله الحمد بمطالعة كتاب بغية الأذكياء فى البحث عن كرامات الأولياء للإمام العلامة المرحوم بكرم الله القدسي الشيخ محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى المتوفى بمكة المشرفة سنة ١٣٣٨ هـ الذى كتب وألف كتبا مفيدة صغارا وكبارا فى شتى الفنون بعبارات رائقة فائقة والفاظ سهلة سلسة بل قد صنف رجالا علماء أجلاء نشروا العلم المحمدى فى بقاع بلدتنا اندونسيا الذين هم مشايخنا ومشايخ مشايخنا فأصحاب كبار المعاهد المنتشرة فى بلدنا المحبوب والمشايخ المؤسسون لجمعية نهضة العلماء انما اكثرهم فروع هذه الدوحة العظيمة العلية وأنهار هذه العين المكية المسكية وكأنهم شهود صدق وبينات عدل لقوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال فمن أراد منا أن يبر آباءه فى العلم والمعرفة فليقتن هذا الكتاب وسائر مؤلفات الإمام محمد محفوظ الترمسى لأنها وأمثالها من الكتب السلفية بلا شك تراث أسلافنا الأماجد الذين بنوا لنا صرح العلم المنيف وشيدوا لنا قصور الفقه فى دين الله والتعمق فى شرعه الحنيف.

هذا وقد سألنى حفيد المؤلف حامل كتاب الله المقرئ الأديب الكياهى حرير محمد الدمائى بتصحيح الكتاب ومقابلة مسودته المطبوعة بأصله العتيق فعملت فى ذلك بما أمكن وتيسر ووقفنى الله تعالى له. فله تعالى أبلغ الحمد وله سبحانه أقصى الشكر ونسأله تعالى أن ينفع بهذه الطبعة لهذا الكتاب العزيز الفريد فى بابه العظيم فى مباحثه ومطالبه التى احتجنا نحن إليها خصوصا فى هذه العصور المتقدمة فى أمور الدنيا الفانية المتأخرة فى شؤون الأخرة الباقية فنحن أشد حاجة إلى زيادة الإيمان واليقين والعرفان بفضائل الأولياء العارفين الذين أعطاهم مولاهم جل شأنه الكرامات والمقامات السنية وراثة عن إمامه الأعظم ونبيهم الأكرم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه

وهؤلاء الأولياء العارفون هم العلماء بالله وبصفاته العلية على حسب الطاقة البشرية المتقون له غاية التقوى المسارعون لمأموراته المجتنبون عن مساخطه ومنهياته الغيورون على الشريعة الإسلامية وأدابها وسننها المواظبون على لزوم الطاعة وترك المنكرات أولئك هم الصادقون فضلا من الله ونعمة أولئك حزب الله ألآ إن حزب الله هم المفلحون. ألهمنا وأولادنا واحبابنا حبهم والإقتدآء بهم وبالصحابة الأخيار وبالنبي المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. آمين والحمد لله رب العالمين.

تمت كتابة هذا الكتاب المسمى ببغية الأذكياء فى البحث عن كرامات الأولياء للشيخ العالم الفاضل محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى ضحوة الاحد ثامن المحرم سنة ١٤١٧ هجرية من النسخة الأصلية دفعها حفيد المؤلف حرير بن محمد بن محمد محفوظ بن عبد الله البيتنجانى الدمائى نفعنا الله هذه المنتخبة ووفقنا للتقوى والإستقامة ورزقنا الحسنى وزيادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه اجمعين. والحمد لله رب العالمين.

سارع، تحريرا ليلة الاثنين ١ صفر الخير ١٤١٧ هـ

الموافق ١٧ يونى ١٩٩٢ م

كتبه ميمون زبير السارنجى

ترجمة الشيخ محمد محفوظ بن الشيخ عبد الله الترمسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين اما بعد فاقول :

هو الشيخ العلامة الأصولي الفقيه المقرئ المحدث محمد محفوظ ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد المنان الترمسى بفتح التاء وسكون الراء نسبة الى ترمس قرية من قرى جاوى الشرقي ولد الشيخ محفوظ فى ترمس. وقد اختُلف في سنة ولادته فقيل إن ولادته فى سنة ١٢٨٥ هـ وذهب اليه الشيخ ياسين الفادانى فى خاتمة كفاية المستفيد ص ٤٤ وقيل ان ولادته يوم الإثنين السادس من شهر صفر عام ١٢٨٠ هـ هو قول الشيخ دحلان ابن الشيخ عبد الله الترمسى الأخ الشقيق للشيخ محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى نشأ رحمه الله فى حجر والده فى قرية الترمس وتلقى مبادئ الفقه فى حداثة سنه وحفظ القرآن وأتقنه ثم رحل الى سماران عند الشيخ العلامة الكياهى صالح بن عمر دارات السمارانى ومكث عنده فى الرباط وقرأ عليه شرح الحكم وتفسير الجلالين وغيرهما ثم رحل الى الديار المكية والمشاعر الحرمية. وقال الشيخ عن نفسه : (ترمس قرية كانت فيها ولادتى ونشأتى الى أن بلغت من عمرى ثلاث وعشرين سنة ثم رحلت منها لحج بيت الله الحرام) وأقام فيها وتلقى الفنون على كبار علماء مكة شرف الله فمنهم :

(١) الشيخ العلامة محمد الشربيني الدمياطي، وكان عالما مفسرا ، متقنا فى علم القراءات ، تلقى عنه المترجم له علم القراءات العشر والاربعة فوق العشر .

(٢) الشيخ العلامة أبو بكر محمد شطا ، وكان عالما فقيها واستفاد منه المترجم اكثر العلوم الشرعية والآلات وكان فى تحصيله مشمرا على ساعد الجد باذلا نفيس وقته فى ادراك المعقول والمنقول فحاز بعظم همته نصب السبق على أقرانه اشتهر صيته فى الفقه وأصوله والقراءات ومصطلح الحديث وشارك في فنون كثيرة وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام ورحل إليه طلبة العلم من كل صوب لاجتناء ثماره اليانعة رحمه الله رحمة واسعة.

وتخرج علي يديه خلف كثير فمنهم :

(١) المحدث عمر بن حمدان المحرسى العالم الجليل محدث الحرمين ولد سنة ١٢٩١ هـ وتوفى رحمه الله بالمدينة النبوية سنة ١٣٦٨ هـ .

والشيخ العلامة نواوى الفاسورووانى والشيخ العلامة خليل اللاسمى وهو كاتبه والشيخ العلامة دلهار الواتوحوعولى وهو كاتبه ايضا وكان تقريره باللغة العربية الفصحى ويخلطها تارة باللغة الجاوية والف كتبا كثيرة. تأليفاته المطبوعات (١) منهج ذوى النظر فى شرح الفية علم الأثر (٢) الجزء الأول الى الرابع من موهبة ذى الفضل حاشية شرح بافضل (٣) المنحة الخيرية فى اربعين حديثا من احاديث خير البرية (اربعين الترمسى) (٤) الخلعة الفكرية بشرح المنحة الخيرية (٥) الرسالة الترمسية فى اسناد القرات العشرية (٦) السقاية المرضية فى اسامى كتب اصحابنا الشافعية (٧) كفاية المستفيد فيماعلى من الأساند (٨) بغية الأذكياء فى البحث عن كرامات الأولياء. تأليفاته المخطوطات (١) نيل المأمول شرح لب الاصول (٢) اسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع (٣) انشراح الفؤاد فى قراءة الامام حمزة روايتى خلف وخلاد (٤) البدر المنير فى قراءة الامام ابن كثير (٥) تعميم المنافع فى قراءة الامام نافع (٦) تنوير الصدر بقراءة الامام ابى عمرو (٧) تهيئة الفكر بشرح الفية السير (٨) غنية الطلبة بشرح الطيبة (٩) عناية المفتقر فيما يتعلق بسيدنا الخضر (١٠) فتح الخبير بشرح مفتاح السير (١١) الجزأ الخامس تكملة من موهبة ذى الفضل (١٢) ثلاثيات البخارى. وتوفى رحمه الله بمكة المشرفة فى اول رجب قبيل اذان المغرب فى يوم الاحد ليلة الاثنين سنة ١٣٣٨ هجرية ودفن فى مقبرة المعلى جوار سيدتنا خديجة الكبرى تغمده الله برحمته وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء. وله ابن صالح حامل لكتاب الله المقرئ المتقن الاديب محمد بن محفوظ بن عبد الله بن عبد المنان اقام بمدينة ذى ماء جاوى الوسطى واسس معهد بستان عشاق القرأن بتعان الدمائى وتوفى يوم الاثنين من جمادى الاولى سنة ١٣٧٠ هجرية ودفن بمقبرة بنى تسليم تغمده الله برحمته ونور ضريحه الى يوم الدين وفقنا الله واولادنا للاقتداء بأثارهم والاقتباس من انوارهم واحشرنا معهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين.

خادم المعهد بستان عشاق القران

بيتعان الدمائى

رجب المحرم ١٤٢٨ هـ

اكوستوس ٢٠٠٧ م

حفيد المؤلف حرير محمد محفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يامن اكرم اولياءه فى الدنيا والعقبى بصنوف كرامات لاتعد ولاتحصى، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الذى خصصته فيهما بالمقام الأعلى، وعلى آله وصحبه قادة ذوى البر والتقو، وقدوة اولى الارشاد والذكر. (امابعد)، فيقول محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى – منحه الله عوائد فضله الوفى – : هذه منتخبة سميتها بغية الأذكياء فى البحث عن كرامة الأولياء، اقتصرت غالبا فيما عدا تعريف الولي والكرامة ومايتبعه على النقل من كلام التاج السبكى، وكلام المحقق ابن حجر الهيتمى، لما انهما اوفى وامتن ما علمت فى هذا الباب، وفيهما من الحجج ودفع الشبه ما يكفى ذوى الالباب، والله الهادى الى سواء السبيل، وهو حسبى ونعم الوكيل.

تعريف الولي والكرامة وما يتبعه

اما الولي فهو فعيل من الولاية. قال الاستاذ زين الاسلام القشيرى: الولي له معنيان، احدهما فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه امره. قال الله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾، فلايكله الى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته. والثانى فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته. فعبادته تجرى على التولى من غير ان يتخللها عصيان. وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى اياه فى السراء والضراء. ومن شرط الولي ان يكون محفوظا كما ان من شرط النبى ان يكون معصوما. فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع. وقال ابو على الجوزجانى : الولي هو الفانى فى حاله الباقى فى مشاهدة الحق سبحانه، تولى الله تعالى سياسته فتوالت عليه انوار التولى، لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار. وقال يحيى بن معاذ: الولي لايرائى ولا ينافق، وما اقل صديق من كان هذا خلقه. وقال ايضا: الولي ريحان الله تعالى فى الارض، يشمه الصديقون فتصل رائحته الى قلوبهم، فيشتاقون به الى مولاهم ويزدادون عبادة على تفاوت اخلاقهم. قال الاستاذ القشيرى: فان قيل: فهل يجوز ان يكون وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته؟ قيل: من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لايجوز ذلك، ومن قال انه مؤمن على الحقيقة، وان جاز ان يتغير حاله بعد، لا يبعد ان يكون فى الحال وليا صديقا ثم يتغير، وهذا الذى نختاره نحن. ويجوز ان يكون من جملة كرامات ولي ان يعلم انه مأمون وانه لاتتغير عاقبته. قال ابو سعيد احمد بن عيسى الخراز البغدادى: "اذا ارد الله تعالى ان يوالى عبدا من عبيده فتح عليه

باب ذكره، فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس به، ثم اجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وادخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة، فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا، هو فحينئذ صار العبد زمنا فانيا، فوقع فى حفظه سبحانه، وبرئ من دعاوى نفسه. وقيل: علامة الولي ثلاثة: شغله بالله تعالى، وفراره الى الله تعالى، وهمه الله عز وجل. واختلف فى ان الولي يجوز ان يعلم انه ولي ام لا؟ فقيل: لايجوز ذلك، لان الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير، وان ظهر عليه شيئ من الكرامات خاف ان يكون مكرا، وهو يستشعر الخوف دائما ابدا، وانما يخاف سقوطه عما هو فيه، وان تكون عاقبته بخلاف حاله. والقائلون بهذا جعلوا من شرط الولاية وفاء المآل. وقيل: يجوز ذلك، وليس من شرط الولي تحقيق الولاية فى الحال الوفاء فى المآل. قال الاستاذ القشيرى: وهو الذى نؤثره ونقول به. وليس ذلك بواجب فى جميع الاولياء حتى يكون كل ولي يعلم انه ولى واجبا، ولكن يجوز ان يعلم بعضهم ذلك كما يجوز ان لا يعلم بعضهم. فاذا علم بعضهم انه ولي كانت معرفته تلك كرامة له انفردبها. وليس كل كرامة لولي يجب ان تكون تلك بعينها لجميع الاولياء، بل لولم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه فى الدنيا لم يقدح عدمها فى كونه وليا، بخلاف الانبياء، فانه يجب ان تكون لهم معجزات، لانه مبعوث الى الخلق، فبالناس حاجة الى معرفة صدقه ولايعرف الابالمعجزة. وبعكس ذلك حال الولي. قال: وقول من قال لا يجوز ذلك لانه يخرجهم من الخوف، فلابأس بخوف العاقبة ان يخافوا تغيير العاقبة، والذى يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والتعظم والاجلال للحق سبحانه يزيد ويربو على كثير من الخوف. واما الكرامة فهى ظهور امر خارق للعادة من قبل شخص مؤمن صالح غير مقرون بدعوى النبوة والرسالة، فما لايكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا، ومايكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة. وقد تكلموا فى الفرق بين الكرامة والمعجزة. فقال ابو اسحاق الاسفرائنى: المعجزات دلالات صدق الانبياء، ودليل النبوة لاتوجد مع غير النبى، كما ان العقل المحكم لما كان دليلا للعالم فى كونه عالما لم يوجد الاممن يكون عالما. وقال ابوبكر بن فورك: المعجزات دلالات الصدق. ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه فى مقالته. وان اشار صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه فى حاله فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة، وان كان من جنسها للفرق. ومن الفرق بينهما ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باظهارها، والولى يجب عليه سترها واخفاؤها، والنبى صلى الله عليه وسلم يدعى ذلك ويقطع القول

به، والولي لا يدعيها ولايقطع بكرامته لجواز ان يكون ذلك مكرا. وقال القاضى ابو بكر الباقلانى: ان المعجزات تختص بالانبياء، والكرامات تكون للاولياء. كما تكون للانبياء ولا تكون للاولياء معجزة، لان من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها، وانما كانت معجزة لحصولها على اوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة، واحد تلك الشرائط دعوى النبوة. والولي لا يدعى الولاية، والذى يظهر عليه لايكون معجزة. قال الاستاذ القشيرى: وهذا القول الذى نعتمده ونقول به بل ندين به. فشرائط المعجزات كلها اواكثرها توجد فى الكرامة الا هذا الشرط الواحد.

فصل فى نقل كلام التاج السبكى فى هذا المبحث

قال رضى الله عنه فى الطبقات الكبرى: ان الكرامات والمكاشفات ليست خدعا الا لمن يقف عندها ويجعلها شوقه ومقصوده. ولا شك فى هذا، وقد بالغ قوم فى تعظيمها بحيث سلبوا بها المواهب، وبالغ آخرون فى امتهانها بحيث لم يعدوها شيئا. والحق ما ذكره ابو تراب اى النخشبى من ان السكون اليها نقص. فمن الواضح الجلي الذى لا ينكره عارف ان العارف لايقف عندها، وانما مطلوبه ما وراءها. وهى تقع فى طريقه وليس للواقع فى الطريق من الطريق صفة. ومن وقف عندها سقط فى مهاوى الهلكات. ومن كانت هى مطلوبه فهو مغرور ويبعد وصوله اليها، وانما يصل اليها من لايراها. فان قلت: فلأي معنى يظهرها مظهروها وهى على ما زعمت تزعم اشياء لا يلقون اليها بالا؟ قلت: ظهورها يقع على انحاء ربما لم يكن باختيار صاحبها، وهو كثير بل صار بعض الائمة، كما نقل امام الحرمين فى الشامل، الى ان الكرامات لا تكون ابدا الاعلى هذا الوجه. فعلى هذا لا سؤال، ولكن هذا مذهب ضعيف غير مرضي عند المحصلين، ولا سؤال عليه وربما كان هو المظهر بها، وانما يكون ذلك لفائدة دينية من تربية اوبشارة اونذارة اوغير ذلك، حيث يؤذن فيه، ولا يجوز اظهارها حيث لا فائدة، فذلك عند القوم غير جائز له. قال: وان الكرامات حق. وانى لأعجب غاية العجب من منكرها، واخشى عليه مقت الله، ويزداد تعجبى عند نسبة انكارها الى الاستاذ ابى اسحاق الاسفرائنى، وهو من اساطين اهل السنة والجماعة، على ان نسبة انكارها اليه على الاطلاق كذب عليه. والذى ذكره الرجل فى مصنفاته ان الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة. قال: وكلما جاز تقديره معجزة لنبي لايجوز ظهور

مثله كرامة لولي. قال: وانما بالغ الكرامات اجابة دعوة اوموافاة ماء في بادية في غير موقع المياه اومضاهى ذلك مما ينحط عن خرق العادة. ثم مع هذا قال امام الحرمين وغيره من ائمتنا: هذا المذهب متروك. قلت: وليس بالغا في البشاعة مبلغ مذهب المنكرين للكرامات مطلقا، بل هو مذهب مفصل بين كرامة وكرامة، رآى ان ذلك التفصيل هو المميزلها من المعجزات. وقد قال الاستاذ القشيرى: ان كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا انه لايجوز ان تظهر كرامة للاولياء لضرورة او شبه ضرورة بعلم ذلك. فمنها حصول انسان لامن ابوين وقلب جماد بهيمة او حيوانا. وامثال هذا كثيرة. انتهى. وهو حق لا ريب فيه، وبه يتضح ان قول من قال ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي، ليس على عمومه. وان قول من قال لا فارق بين المعجزة و الكرامة الا التحدي، ليس على وجهه. ولعلنا نبحث عن هذا في اخر الفصل، وسبيلنا حيث انتهينا الى هذا ان نستقصى شبه المنكرين للكرامات، ونستأصل شأفتهم (١) بتقرير الرد عليهم، ثم نذكر البراهين الدالة على الاثبات، ونختمها بتتمات.

شبهة للقدرية فى منع الكرامات و ذكر فسادها

قالوا تجويز الكرامة يفضى الى السفسطة، لانه يقتضى تجويز انقلاب الجبل ذهبا ابريزا او البحر دما عبيطا، وانقلاب اوانى يتركها الانسان فى بيته ائمة فضلاء مدققين. و الجواب عن هذه الشبهة من وجوه: احدها انا لا نسلم بلوغ الكرامة الى هذا المبلغ، كما اقتضاه كلام القشيري. والثانى – وهو ما اقتضاه كلام أئمتنا – انا نجوز (بلوغها هذا المبلغ ولكن لا يقتضى ذلك سفسطة لان ما ذكرتم بعينه وارد عليكم فى زمان النبوة فانه يجوز) ظهور المعجزة بذلك ولا يؤدى الى سفسطة. والثالث ان التجويزات العقلية لاتقدح فى العلوم العادية و جواز تغيرها بسبب الكرامة تجويز عقلي فلا يقدح فيها.

شبهة ثانية لهم وتبيين الانفصال عنها

قالوا: لوجازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة، فلا تبقى للمعجزة دلالة على ثبوت النبوة. والجواب منع الاشتباه، وذلك لان المعجزة مقرونة بدعوى النبوة ولا كذلك الكرامة. بل الكرامة مقرونة بالانقياد للنبى وتصديقه والسير على طريقه، وقولهم: انما دلت المعجزة

---

(١). قوله شأفتهم : اى اصلهم وقرحتهم قال فى القاموس الشأفة قرحة تخرج فى اسفل القدم

على تصديق النبى من حيث انخراق العادة فكذلك الكرامة، كلام ساقط. فان مجرد خرق العادة ليس المقتضى للنبوة. ولو دل خرق العادة على النبوة بمجرده لوجب ان تدل اشراط الساعة وما سيظهر منها على ثبوت نبوة، اذالعوائد تنخرق بها. ومن اعظم البدائع فطرة السموات والنشأة الاولى، ثم لم تقتض بدائع الفطرة فى نشأة الخلق ثبوت نبي، فاستبان ان مجرد خرق العادة لايدل على النبوة، اذلودل لاطرد، بل لابد معه من التحدى، فلا اشتباه للكرامة بالمعجزة. وايضا فالمعجزة يجب على صاحبها اشهارها، بخلاف الكرامة فان مبناها على الاخفاء، ولا تظهر الاعلى الندرة والخصوص لا على الكثرة والعموم. وايضا فالمعجزة تجوز ان تقع بجميع خوارق العادات، والكرامات تختص ببعضها، كما بيناه من كلام القشيرى، وهو الصحيح. ولسنا نجوز ولدا الا من ابوين ولا نحو ذلك، كما سنستقصى القول فيه.

شبهة ثالثة لهم ووجه الانفصال عنها

قالوا: لوظهرت لولي كرامة مجازا لحكم له بمجرد دعواه انه يملك حبة من الحنطة اوفلسا واحدا من الفلوس من غير بينة لظهور درجته عند الله تعالى المانعة من كذبه، لاسيما من هذا المنزل اليسير، لكنه باطل باجماع المسلمين المؤيد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين: البينة على المدعى واليمين على من انكر. والجواب ان الكرامة لاتوجب عصمة الولي ولاصدقه فى كل الامور. وقد سئل شيخ الطريقة ومقتدى الحقيقة ابوالقاسم الجنيد رحمه الله: ايزنى الولي فقال: ﴿وكان امر الله قدرا مقدورا﴾. وهب ان الظن الحاصل بصدقه فيما ادعاه الا ان الشارع جعل لثبوت الدعوى طريقا مخصوصا ورابطا معروفا لايجوز تعديه ولاالعدول عنه. الا ترى ان كثيرا من الظنون لايجوز الحكم بها لخروجها عن الضوابط الشرعية.

شبهة رابعة لهم وكشف عوارها

قالوا: لوجاز ظهور خوارق العادات على ايدى الصالحين لجاز سرا كما يجوز جهرا، ولو جاز سرا لما أمكننا ان نستدل على نبوة الانبياء بظهورها على ايديهم، فثبت ان ظهورها على الصالحين سرا ممتنع. واذا لم يجز ظهورها عليهم سرا فاولى ان لاتجوز جهرا، لان كل من جوز ظهورها عليهم لم يشترط ان تظهر علانية، بل من اصول معظم جماعتكم ان الاولياء لايظهرون الكرامات ولايدعون بها، وانما تظهر سرا وراء ستور يتخصص بالاطلاع عليها آحاد الناس، فثبت انها لو جازت لجازت سرا، اذ لاقائل بالتفصيل، ولانه

اولى بالجواز من العلانية،، لكن جوازها سرا يفضى الى ان لا يستدل بها على النبوة، لانه يجوز ظهورها متوالية على استمرار، وان كان ذلك مخفيا مستترا وتكون موجودة مستمرة بحيث يلتحق بحكم المعتاد. فاذا ظهر نبى وتحدى بمعجزة جاز ان تكون هى بعض ما اعتاده اولياء عصره من الكرامات، فلا يتحقق فى هذا النبى خرق العوائد. فكيف السبيل الى تصديقه؟ هذا حاصل شبهتهم هذه، ثم حرروا عنها عبارة فقالوا: اذاتكرر مايخرق العوائد على الاولياء افضى ذلك الى التحاق خوارق العادات فى حقوقهم بالمعتادات، وصارت عاداتهم خلاف العادات. فلو ظهر نبي فى زمنهم كانت عادتهم فى انخراق العوائد فى احوالهم تصدهم عن تصحيح النظر فى المعجزة. ثم اخرجوا الشبهة على وجه آخر فقالوا: لو جاز اظهارها على صالح لجاز اظهارها على صالح آخر اكراما له، وهكذا الى عدد كثير، اذ ليس اختصاص عدد منهم بذلك اولى من عدد آخر وحينئذ يصير عادة، فلا يبقى ظهورها دليلا على النبوة ويطوى بساط النبوة رأسا. وجميع ماذكروه فى هذه الشبهة تمويه لا حاصل تحته وقعقعة لاطائل فيها. ولأئمتنا رضى الله عنهم فى ردها وجهان، فمن أئمتنا من منع توالى الكرامات واستمرارها حتى تصير فى حكم العوائد. وخلص بهذاالمنع عن الزامهم، بل امتنع بعض المحققين من تصوير توالى المعجزات على الرسل المتعاقبين، اذ كان يؤدى الى ان تصير المعجزات معتادة. فهذه طريقة فى الرد على هذه الشبهة، حاصلها، انا انما نجوز ظهور الكرامات على وجه لايصير عادة، فاستبان انه خلص بشبهتهم هذه، وانها لم تقدح فى اصل الكرامات، وانما تضمنت منع كرورها والتحاقها بالمعتاد. ومن أئمتنا – وهم المعظم – من جوز توالى الكرامات على وجه الاختفاء، بحيث لاتظهر ولاتشيع ولاتلتحق بالمعتاد، لئلا تخرج الكرامة عن كونها كرامة عند عامة الخلق. ثم قالوا: الكرامة وان توالت على الولي حتى الفها واعتادها فلا يخرجه ذلك عن طريق الرشاد ووجه السداد فى النظر اذا لاحت المعجزة، ان وافقه التوفيق، وان تعداه التوفيق سلب الطريق ولم يكن بولي على التحقيق. والمعجزة تتميز عمن تكررت عليه الكرامة بالاظهار والاشاعة والتحدى ودعوى النبوة، فاذا تميزت الكرامة عن المعجزة لم ينسد باب الطريق الى معرفة النبي. ومن تمام الكلام فى ذلك ان اهل القبلة متفقون على ان الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجرة، وانما تظهر على المتمسكين بطاعة الله عزوجل. وبهذا لاح ان الطريق الى معرفة الانبياء لاينسد. فان الولي – بتوفيق الله تعالى – ينقاد للنبي اذا ظهرت المعجزة على يديه، ويقول: معاشر الناس هذا نبي الله، فأطيعوه. ويكون اول منقاد له

ومؤمن به. والقاضى ابو بكر – وان شبب بمنع (١) هذا الاجماع – وقال: لوجوز مجوز ظهور بعض خوارق العادات على بعض الفسقة استدراجا لكان مذهبا كما انه لايبعد ظهورها على الرهبان المتبتلين واصحاب الصوامع على كفرهم. فهذا كما قاله امام الحرمين فيه نظر، ولسنا نثبت لراهب كرامة ولاكيد ولاكرامة، ومحل استيفاء القول على ذلك لايحتمله هذا المكان، والحاصل ان ما يظهر على يد الرهبان ليس من الكرامات. واما توفق القاضى فى الفسقة والفجرة فانا معه، لكن لا على الاطلاق بل أفصل وأقول لو ذهب ذاهب الى تجويز ظهور الكرامة على يد الفاسق انقاذا له مما هو فيه ثم يتوب بعدها ويثبت لا محالة وينتقل الى الهدى بعد الضلالة لكان مذهبا. ويقرب منه قصة اصحاب الكهف التى سنحكيها. فقد كانوا عبدة اصنام، ثم حصل لهم ما حصل ارشادا وتبصرة، ثم ما ذكره الخصوم من حديث اشتباه النبي بغيره اذا وافقت المعجزة الكرامة قد تبين الانفصال عنه. وانا أقول: معاذ الله، ان يتحدى نبي بكرامة تكررت على يد ولي، بل لا بدان يأتى النبي بما لا يوقعه الله على يد الولي. وان جاز وقوعه فليس (٢) كل جائز فى قضايا العقول واقعا. ولما كانت مرتبة النبي اعلى وارفع من مرتبة الولي كان الولي ممنوعا مما يأتى به النبي – على وجه الاعجاز – والتحدى، ادبا مع النبي. ثم أقول حديث الاشتباه والانسداد على بطلانه انما يقع البحث فيه حيث لم تختم النبوة. اما مع مجيئ خاتم النبيين الذى ثبتت نبوته باوضح البراهين واخباره بانه لا نبي بعده فقد قمعنا الاشتباه. فلو صح ما ذكر من الاشتباه والانسداد لكان فى حكم الاولياء من الامم السالفة لا فى الاولياء من هذه الامة، لأمنهم من انه لا نبي بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم، هو لو صح ولن يصح ابدا.

شبهة خامسة لهم وتقرير بطلانها

قالو: لوكان للكرامات اصل لكان اولى الناس بها اهل الصدر الاول، وهم صفوة الاسلام وقادة الانام والمفضلون على الحقيقة بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يؤثر عنهم امر مستفيض. وهذا الذى ذكروه يعلل بالأمانى، وهو قول مرذول مردود. فلو حاول مستقص استقصاء كرامات الصحابة رضى الله عنهم، لأجهد نفسه ولم يصل الى عشر العشر، ولابأس هنا بذكر يسير من كرامات الصحابة رضى الله عنهم. والكلام على السر فى ظهورها

---

١. قوله : وان شبب بمنع الخ عرض بحب منعه

٢. مما يوضحه ان بحرا من زئبق ينبت الاجسام الجامدة والنامية والحساسة والمتحركة بالارادة ممكن الوجود عقلا لكن لم يقع ذلك ولم يبرز الى حيز هذا الوجود. انتهى.

واظهارها على وجه الاختصار ليستفاد بكلامنا على ما نورده من القليل ما يستعان به على ما نغفله من الكثير. فنقول اعلم اولا ان كل كرامة ظهرت على يد صحابي او ولي اوتظهر الى يوم يقوم الناس لرب العالمين فانها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، لان صاحبها انما نالها بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم. وهو معترف له بانه مقدم خليقة الله تعالى وصفوتهم، وسيد البشر الذى من بحره تستخرج الدرر، ومن غيثه يستنزل المطر. وهذ المعنى يصلح ان يكون سببا اجماليا عاما فى الاظهار، لاسيما فى عصر الصحابة رضي الله عنهم. فان الكفار اذارأوا ما يظهر على ايديهم من الخوارق آمنوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم، وعلموا انهم على الحق. فربما كان هذا سببا فى الاظهار. اذا علمت ذلك، فمن الكرامات على يد ابى بكر الصديق رضي الله عنه ما صح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها: ان ابابكر الصديق رضي الله عنه كان نحلها جاد عشرين وسقا فلما حضرته الوفاة قال: والله يابنية ما من الناس احد احب الى غنى بعدى منك، ولا اعز علي فقرا بعدى منك. واني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا، فلو كنت جدديته واخزنتيه كان لك، وانما هو اليوم مال وارث، وانما هما اخواك واختاك فاقتسموه على كتاب الله. قالت عائشة رضي الله عنها: يا ابت والله لو كان كذا وكذا لتركته، انما هي اسماء. فمن الاخرى فقال ابوبكر رضي الله عنه: ذو بطن بنت خارجة، اراها جارية. فكان ذلك. قلت: فيه كرامتان لابى بكر رضى الله عنه: احداهما اخباره بانه يموت فى ذلك المرض، حيث قال: وانما هو اليوم مال وارث. والثانية اخباره بمولود يولد له، وهو جارية. والسر فى اظهار ذلك استطابة قلب عائشة رضى الله عنها فى استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه، واعلامها بمقدار ما يخصها، لتكون على ثقة منه، فاخبرها بانه مال وارث وان معها اخوين واختين لها. او يدل على انه قصد استطابة قلبها ما مهده اولا من انه لا احد احب اليه غنى بعده منها. وقوله: انما هما اخواك واختاك اى ليس ثمه غريب ولاذو قرابة نائية. وفى هذا من الترفق ماليس يخفى. فرضى الله عنه وارضاه. ومنها مافى البخارى من حديث عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما، وقول النبي صلى الله عليه وسلم فى اهل الصفة مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام اربعة فليذهب بخامس، الحديث. وفيه ان ابابكر رضى الله عنه انطلق بثلاثة وغادرهم فى بيته، وتعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم، ولبث حتى صلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء بعد ما مضى من الليل ماشاء الله، فقال له امرأته: ما حبسك عن اضيافك، قال: اوماعشيتيهم قالت: ابوا حتى تجيئ ثم قال:

كلوا، فقال قائلهم: وايم الله ما كنا نأخذ من لقمة الاربا من اسفلها اكثر منها، حتى شبعوا وصارت اكثر مما كانت قبل. فنظر ابو بكر رضى الله عنه فاذا شيئ اواكثر، فقال لامرأته: يااخت بنى فراس ما هذا؟ قالت: لا، وقرة عينى، لهي الآن اكثر مما كانت قبل بثلاث مرات، فأكل منها ابو بكر رضى الله عنه. الحديث. قلت: السر فيه – والعلم عند الله – ان كان ابو بكر قصد تكثير الطعام لاحتياجه الى اشباع الاضياف الذين امره النبي صلى الله عليه وسلم بهم، وان لم يكن قصد ذلك، بل كثره الله ببركته. فهى كرامة اظهرها الله على يديه من غير قصد منه فلا يبحث عنها.

ومنها على يد أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه

الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: لقد كان فيمن قبلكم محدثون فان يك فى امتى احد فانه عمر. قصة سارية بن زنيم الخلجى (١) كان عمر رضي الله عنه قد امر سارية على جيش من جيوش المسلمين وجهزه الى بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحاصرها. وكثرت جموع الاعداء، وكاد المسلمون ينهزمون. وعمر رضى الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب ثم استغاث فى اثناء خطبته باعلى صوته: ياسارية الجبل ياسارية الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم. فاسمع الله عز وجل سارية وجيوشه – اجمعين وهم على باب نهاوند – صوت عمر رضى الله عنه، فلجئوا الى الجبل وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين، فنجوا وانتصروا. هذا ملخصها. وسمعت الشيخ الامام الوالد رحمه الله يزيد فيها ان عليا رضى الله عنه كان حاضرا، فقيل له: ما هذا الذى يقوله امير المؤمنين؟ واين سارية منا الآن؟ فقال كرم الله وجهه: دعوه فما دخل فى امر الاوخرج منه. ثم تبين الحال بالاخرة. قلت: عمر رضى الله عنه لم يقصد اظهار هذه الكرامة، وانما كشف له ورآى القوم عيانا، وكان كمن هو بين اظهرهم او طويت الارض وصار بين اظهرهم حقيقة، وغاب عن مجلسه بالمدينة، واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند، فخاطب اميرهم خطاب من هو معه، اذ هو حقيقة معه او كمن هو معه. واعلم ان ما يجريه الله على لسان اوليائه من هذه الامور يحتمل ان يعرفوا بها ويحتمل ان لايعرفوا بها، وهى كرامة على كلا الحالين. ومنها قصة الزلزلة، قال امام الحرمين رحمه الله فى كتابه الشامل: ان الارض زلزلت فى زمن عمر رضى الله عنه فحمد الله واثنى عليه. والارض ترجف وترتج، ثم ضربها بالدرة،

---

١. كذا فى الاصل هنا والذى فى الاصابة الدئلى

وقال: اقرى الم اعدل عليك فاستقرت من وقتها. قلت: كان عمر رضى الله عنه امير المؤمنين على الحقيقة فى الظاهر والباطن، وخليفة الله فى ارضه وفى ساكنى ارضه، فهو يعزر الارض ويؤدبها بما يصدر منها كما يعزر على ساكنيها على خطاياهم. فان قلت: ايجب على الارض تعزير وهى غير مكلفة، قلت: هذا الآن جهل وقصور على ظواهر الفقه، اعلم ان امر الله وقضاءه متصرف فى جميع مخلوقاته، ثم منه ظاهر وباطن. فالظاهر مايبحث عنه عند الفقهاء من احكام المكلفين، والباطن مااستأثر الله تعالى بعلمه وقد يطلع عليه بعض اصفيائه، ومنهم الفاروق – سقى الله عهده – فاذا ارتجت الارض بين يدى من استوى عنده الظاهر والباطن عزرها، كما اذا زل المرء بين يدى الحاكم. وانظر خطابه لها وقوله: الم اعدل عليك والمعنى – والله اعلم – انها اذاوقع عليها جور الولاة جديرة بان ترتج غير ملومة على التزلزل بما ظهر على ظهرها، واما اذا لم يكن جور بل كان الحكم بالقسط قائما، ففيم الارتجاج وعلى م القلق ولم يأت الوقت المعلوم. فمالها ان ترتج الا فى وقتين: احدهما الوقت المعلوم المشار اليه فى قوله تعالى: ﴿اذا زلزلت الارض زلزالها﴾. فان ذلك اليها، وذلك اذا قال الانسان: مالها حدثت هى باخبارها وذكرت ان الله اوحى لها على ما قال الله تعالى: ﴿اذا زلزلت الارض زلزالها * واخرجت الارض اثقالها * وقال الانسان مالها * يومئذ تحدث اخبارها * بان ربك اوحى لها﴾. والثانى وقت وقوع الجور عليها من الولاة، فانها تعذر اذ ذاك. فان قلت: من اين لك هذا؟ قلت: من قول عمر رضى الله عنه الذى اشرنا اليه. ويدل عليه ايضا: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * ان دعوا للرحمن ولدا﴾. لانه دلت على ان الارض تكاد تنشق بالفجور الواقع عليها، فلولا يمسكها الله لكان. .... (١) واعلم ان هذا الذى خضناه بحر لا ساحل له، و الرأي ان نمسك عنان الكلام، و الموفق يؤمن بما يريد، والشقي يجهل ولايجدى فيه البيان ولايفيد، ومنهم شقي ومنهم سعيد. ويقرب من قصة الزلزلة قصة النيل. وذلك ان النيل كان فى الجاهلية لايجرى حتى تلقى فيه جارية عذراء فى كل عام. فلما جاء الإسلام وجاء وقت جريان النيل فلم يجر، فاتى اهل مصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فأخبروه ان لنيلهم سنة، وهو ان لا يجري حتى تلقى فيه جارية بين ابويها، و يجعل عليها من الحلي و الثياب افضل ما يكون. فقال لهم عمرو بن العاص رضي الله عنه: ان هذا لايكون، وان الاسلام يهدم ما قبله. فأقاموا ثلاثة

---

١ هذا بياض من الاصل

اشهر لايجرى قليلا ولاكثيرا حتى هموا بالجلاء. فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بذلك، فكتب اليه عمر رضى الله عنه: قد اصبت، ان الاسلام يهدم ما قبله، وقد بعثت اليك بطاقة فألقها فى النيل. ففتح عمرو رضى الله عنه البطاقة قبل القائها، فاذا فيها: من عمر امير المؤمنين الى نيل مصر. اما بعد، فان كنت تجرى من قبلك فلاتجر، وان كان الله الواحد القهار وهو الذى بجريك. فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك. فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب، وقد تهيأ اهل مصر للجلاء والخروج منها. فاصبحوا وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة. فانظر الى عمر رضى الله عنه، كيف يخاطب الماء ويكاتبه ويكلم الارض ويؤدبها. واذا قال لك المغرور: اين اصل ذلك فى السنة، قل: ايها المتعثر فى اذيال الجهالات ايطالب الفاروق رضى الله عنه باصل، وان شئت اصلا فهاك اصولا لااصلا واحدا اليس قد حن الجذع الى المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى ضمه اليه، اليس شكى اليه البعير مابه، اليس فى قصة الظبية حجة والأصول فى هذه النوع لاتنحصر، وسنذكر ما لك ان تضمه الى هذا فى ترجمة الامام فخر الدين فى مسئلة تسبيح الجمادات، حيث نرد عليه ثمة انكاره لذلك. يقول محمد محفوظ الترمسى – عفا الله عنه – عبارة هناك اختار الامام فى التفسير فى سورة الاسراء: ان الجمادات وغير المكلف من البهائم انما تسبح الله بلسان الحال ولاتسبح له بلسان المقال، واحتج بمالم ينهض عندنا. وفصل قوم فقالوا: كل حي ونام يسبح دون ما عداه. وعليه قول عكرمة: الشجرة تسبح والاسطوانة لاتسبح. وقال يزيد الوقاشى للحسن وهما يأكلان طعاما، وقد قدم الخوان: ايسبح هذا الخوان، اباسعيد فقال: قدكان يسبح ثمره. يريد ان الشجرة فى زمن نموها واعتدالها ذات تسبيح، واما الآن فصار خوانا مدهونا، ويستدل لهذا بما ثبت من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم مربقبرين فقال: انهما يعذبان، وفيه انه دعا بعسيب رطب وشقه باثنين، وغرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا، ثم قال صلى الله عليه وسلم: لعله يخفف عنهما مالم ييبسا، فان فيه اشارة الى انهما ماداما رطبين يسبحان، واذا يبسا صار جمادا، وذهب قوم الى ان كل شيئ من جماد وغيره يسبح بلسان المقال، وهذا هو الارجح عندنا، لانه لااستحالة فيه، ويدل له كثير من النقول. قال تعالى: ﴿اناسخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق﴾، وقال تعالى: ﴿وتخر الجبال هدا * ان دعوا للرحمن ولدا﴾ وقال صلى الله عليه وسلم كما روى ابن ماجه: لايسمع صوت المؤذن جن ولاانس ولاشجر ولاحجر ولامدر ولاشيئ الا شهد له يوم القيامة. وفى صحيح البخارى:

انهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل عند النبي صلى الله عليه وسلم. وفى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث وخبر الجذع فى هذا مشهور، وروى ابن المبارك فى رقائقه ان ابن مسعود رضى الله عنه قال: ان الجبل ليقول للجبل هل مربك اليوم ذاكر الله فان قال نعم سربه. الى غير ذلك من اخبار وآيات تشهد لمن يحمل قوله تعالى: ﴿وان من شيئ الا يسبح بحمده﴾ على عمومه، غير انا نقول: لا نسلم من تسبيحها بلسان المقال أنا نسمعها، وانما يكون ذلك على سبيل المعجزة، كما كانوا يسمعون تسبيح الطعام عند المصطفى صلى الله عليه وسلم، او على وجه الكرامة. انتهت. ومنها قصة النار الخارجة من الجبال، كانت نار تخرج من كهف فى جبل فتحرق ماااصابت، فخرجت فى زمن عمر رضى الله عنه، فأمر ابا موسى الاشعرى اوتميما الدارى رضى الله عنهما ان يدخلها الكهف فجعل يحبسها بردائه حتى ادخلها الكهف، فلم تخرج بعد. قلت: ولعله قصد بذلك منع اذاها. ومنها انه عرض جيشا يبعثه الى الشام، فعرضت له طائفة فاعرض عنهم، ثم عرضت ثانيا فاعرض عنهم، ثم عرضت ثالثا فاعرض. فتبين بالآخرة انه كان فيهم قاتل عثمان و قاتل علي.

ومنها على يد عثمان ذى النورين رضي الله عنه

دخل اليه رجل كان قد لقي امرأة فى الطريق فتأملها، فقال له عثمان رضي الله عنه: يدخل احدكم وفى عينيه اثرالزنا. فقال الرجل: أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: لا، ولكنها فراسة. قلت انما اظهر عثمان رضي الله عنه هذا تأديبا لهذا الرجل وزجرا له عن سوء صنيعه واعلم ان المرء اذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله تعالى فلا يقع بصره على كدر اوصاف الا عرفه ثم تختلف المقامات فمنهم من يعرف ان هناك كدرا ولا يدرى ما اصله ومنهم من يكون اعلى من هذا المقام فيدرى اصله كما اتفق لعثمان رضى الله عنه فان تأمل الرجل للمرأة اورثه كدرا فابصره عثمان رضي الله عنه وفهم سببه وهنا دقيقة، وهو ان كل معصية لها كدر وتورث نكتة سوداء فى القلب بقدرها، فتكون رينا على ما قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ الى ان يستحكم – والعياذ بالله – فيظلم القلب وتغلق ابواب النور فيطبع عليه، فلا يبقى سبيل الى توبته على ما قال تعالى: ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾، وقد اوضحنا هذا فى كتاب رفع الحوبة بوضع التوبة فى باب ان المطبوع لا توبة له، اذا عرفت هذا، فالصغيرة من المعاصى تورث كدرا صغيرا بقدرها، قريب المحو بالاستغفار و غيره من المكفرات، ولايدركه الا ذو بصر

حاد كعثمان رضي الله عنه، حيث ادرك هذا الكدر اليسير. فان تأمل المرأة من ايسر الذنوب وادركه عثمان رضي الله عنه وعرف اصله. وهذا مقام عال يخضع له كثير من المقامات. واذا انضم الى الصغيرة صغيرة اخرى ازداد الكدر، واذاتكاثرت الذنوب بحيث وصل.

– والعياذ بالله – الى ما وصفناه من ظلام القلوب صار بحيث يشاهده كل ذى بصر. فمن رأى متضمخا بالمعاصى فقد اظلم قلبه ولم يتفرس فيه ذلك، فليعلم انه انمالم يبصره لما عنده ايضا من العمى المانع للابصار. والا فلو كان بصيرا لأبصر هذا الظلام الداجى، فبقدر بصره يبصر، فافهم ما نتحفك به.

ومنها على يد على المرتضى امير المؤمنين رضى الله عنه

روي ان عليا وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم سمعوا قائلا يقول فى جوف الليل:

يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت و انتبهوا * و عين جودك يا قيوم لم تنم
هب لى بجودك فضل العفو عن زللى * يا من اليه رجاء الخلق فى الحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذوخطأ * فمن يجود على العاصين بالنعم

فقال على رضى الله عنه لولده: اطلب لى هذا القائل، فأتاه فقال: أجب أمير المؤمنين، فأقبل يجر شقه حتى وقف بين يديه فقال: قد سمعت خطابك، فما قصتك، فقال: انى كنت رجلا مشغولا بالطرب والعصيان، وكان والدى يعظنى ويقول ان لله تعالى سطوات ونقمات، وما هي من الظالمين ببعيد، فلما الح فى الموعظة ضربته، فحلف ليدعون علي ويأتى مكة مستغيثا الى الله ففعل، ودعا فلم يتم دعاؤه حتى جف شقى الأيمن، فندمت على ما كان منى، وداريته وارضيته الى ان ضمن لى انه يدعو لى حيث دعا، فقدمت اليه ناقة فاركبته فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين فمات. فقال علي كرم الله وجهه رضى الله عنك ان كان ابوك رضى عنك. فقال: آلله كذلك، فقام علي كرم الله وجهه وصلى ركعات ودعا بدعوات اسرها الى الله عز وجل، ثم قال: يا مبارك قم، فقام ومشى وعاد الى الصحة كما كان، ثم قال: لولا انك حلفت ان اباك رضى عنك ما دعوت لك. قلت: اما الدعاء فلااشكال فيه، اذ ليس فيه اظهار كرامة. ولكنا نبحث فى هذا الامر فى موضعين، احدهما فيما نحن بصدده من السر فى اظهاره – كرم الله وجهه – الكرامة فى قوله: قم، فنقول: لعله لما دعا اذن له ان يقول ذلك، او رآى ان قيامه موقوف باذن الله تعالى على هذا المقال، فلم

يكن من ذكره بد. والثانى كونه صلى ركعات ولم يقتصر على الدعاء، فنقول ينبغى للداعى ان يبدأ بعمل صالح يتنور به قلبه ليعقبه الدعاء، ولذلك كان الدعاء عقيب المكتوبات اقرب الى الاجابات. ومن افضل الاعمال الصلاة، وقد جاء فى احاديث كثيرة الامر بتقديمها على الدعاء عند الحاجات، واقل الصلاة ركعتان، فان حصل نور بها واشرقت علائم القبول، فالاولى الدعاء عقبها والا فليصل المرء الى ان تلوح امارات القبول فيعرض اذ ذاك عن الصلاة ويفتتح الدعاء فانه اقرب الى الاجابة. وللكلام فى هذا المقام سبح طويل لسنا له الآن.

ومنها على يد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم

فى استسقائه عام الرمادة. وذلك ان الارض اجدبت فى زمن عمر رضى الله عنه، وكانت الريح تذرى ترابا كالرماد لشدة الجدب فسمى عام الرمادة لذلك، وقيل: انما سمى بذلك لكثرة من هلك فيه، والرمد الهلاك، فخرج عمر بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما يستسقى، فأخذ بضبعيه واشخصه قائما ثم اشخص الى السماء، وقال: اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق، ﴿واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنزلهما وكان ابوهما صالحا﴾، فحفظتهما لصلاح ابيهما، فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم فى عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين ومستغفرين. ثم اقبل على الناس فقال: ﴿استغفروا ربكم انه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * الى قوله انهارا﴾ والعباس قد طال عمره، وعيناه تنضحان، وسبابته تجول فى صدره وهو يقول: اللهم انت الراعى، لاتهمل الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وانت تعلم السر واخفى، اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا، فانه لاييأس من روحك الا القوم الكافرون. اللهم فاغثهم بغياثك، فقد تقرب الي القوم لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم، فنشأت طريرة من سحاب وقال الناس: ترون ترون ثم تلامت واستتمت ومشت فيها ريح، ثم هرت ودرت. فما برح القوم حتى اعتلقوا الحذاء وقلصوا المآزر وخاضوا الماء الى الركب، ولاذ الناس بالعباس رضى الله عنه يمسحون اردانه (١) ويقولون هنيأ لك ساقى الحرمين، فاترع الله الحباب واخصب البلاد ورحم العباد، قلت: فهذه دعوة مستجابة ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن

فيها قصد اظهار كرامة بل استسقاء عند احتياج الخلق. وهى مثل ما ظهر على يد سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه، وذلك انه كان يوم القادسية متألما من رمل لم يستطع الركوب لاجله، فجلس فى قصر يشرف على الناس، فقال فى ذلك بعض الشعراء مقالا بلغه رضى الله عنه، فقال: اللهم اكفنا لسانه ويده. فخرس لسانه وشلت يده. وكان سعد رضى الله عنه مجاب الدعوة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك، فقال: اللهم سدد سهمه، واجب دعوته، فكان لايدعو بشيئ الا اجاب الله تعالى دعاءه فيه. وكان الصحابة رضى الله عنهم يعرفون ذلك منه. و لما عزله عمر رضى الله عنه من الكوفة بشكوى اهلها، وكان عمر رضى الله عنه قد قال: لايشكو الي اهل موضع عاملهم الا عزلته. وذلك – والله اعلم – لمعنيين: احدهما انه راى ان الصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول و الإستبدال ممكن. والثانى انه لم يكن للأولين رغبة فى الولاية، وانما كانوا يفعلونها امتثالا لأمر أمير المؤمنين، وانقيادا لطاعة الله عز وجل و رسوله صلى الله عليه وسلم، ورجاء ثواب الله فى إقامة الحق. فإذا عزل احدهم كان العزل احب اليه من الولاية، فلا يؤلم ذلك قلبه. فلذلك كان عمر رضى الله عنه – والله اعلم – يختار عزل المشكو على الإطلاق بمجرد الشكوى، وان كان عنده عدلا ورعا منزها عما قيل فيه، لأنه يجمع بعزله بين إدخال السرور على قلبه بلإقالة، وعلى الشاكين بقطع النزاع. وكان مع ذلك لايغفل البحث عن أحوال الراعى و الرعية حتى يطلع على صدق الشاكى من غيره. فلما عزل سعدا وولى مكانه عمار بن ياسر رضى عنهما بعث مع سعد رضى الله عنه من يسأل عنه اهل الكوفة، فلم يدع مسجدا حتى سأل عنه، فيثنون عليه خيرا حتى دخل مسجدا لبنى عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة ويكنى أبا سعدة فقال: اما اذ نشدتنا فان سعدا كان لا يسير بالسرية ولايقسم بالسوية ولايعدل فى القضية. فقال سعد رضى الله عنه: اما والله لأدعون بثلاث، اللهم ان كان عبدك هذا كاذبا قام رياء و سمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. قال عبد الملك بن عمير من رواة الحديث: فانا رايته قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وانه ليتعرض للجوارى فى الطريق يغمزهن، وكان بعد اذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون اصابتني دعوة سعد. واراد عمر رضى الله عنه ان يرد سعدا بعد ذلك الى الكوفة فامتنع. وأقبل سعد رضى الله عنه يوما برجل يسب عليا و طلحة و الزبير رضى الله عنهم فنهاه فكأنما زاده اغراء، فقال: ويلك ما تريد الى اقوام خير منك، لتنتهين او لأدعون عليك، فقال: هاه فكأنما تخوفنى يعنى نبيا من الأنبياء. فدخل سعد رضي الله عنه

دارا فتوضأ ودخل مسجدا فقال: اللهم ان عبدك هذا يسب اقواما قد سبقت لهم منك الحسنى حتى أسخطك بسبه إياهم، فأرنى فيه اليوم أية لتكون أية للمؤمنين. فخرجت بختية من دار قوم وأقبلت لا يصد صدرها شيئ حتى انتهت اليه، وتفرق الناس فجعلته بين قوائمها حتى طفئ.

ومنها على يد ابن عمر رضى الله عنهما

حيث قال للأسد الذى منع الناس الطريق: تنح فبصبص بذنبه وذهب. (١) وعلى يد العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه وقد بعثه النبى صلى الله عليه و سلم فى غزاة بجيش، فحال بينهم وبين الموضع البحر، فدعا الله تعالى ومشوا على الماء. وما جاء انه كان بين سلمان و ابى الدرداء قصعة فسبحت حتى سمع التسبيح. وما اشتهر ان عمران بن حصين رضى الله عنهما كان يسمع تسبيح الملائكة حتى اكتوى، فانجس ذلك عنه ثم اعاده الله عليه. وما اشتهر من قصة خالد بن الوليد رضى الله عنه، وهي انه شرب السم ولم يضره. فان قلت: ما بال الكرامات فى زمان الصحابة رضى الله عنهم؟ وان كثرت فى نفسها قليلة بالنسبة الى ما يروى من الكرامات الكائنة بعدهم على يد الأولياء. فالجواب: اولا، ما اجاب الإمام الجليل احمد بن حنبل رضى الله عنه حيث سئل عن ذلك، فقال: اولئك كان ايمانهم قويا، فما احتاجوا الى زيادة يقوى بها ايمانهم، وغيرهم ضغيف الإيمان فى عصره فاحتيج الى تقويته باظهار الكرامة. ونظيره قول الشيخ السهروردى رحمه الله حيث قال: وخرق العادة انما يكاشف به لموضع يقين المكاشف، رحمة من الله تعالى لعباده، العباد ثوابا معجلا، وفوق هؤلاء قوم ارتفت الحجب عن قلوبهم فمااحتاجوا الى ذلك. وثانيا، ان يقال: مايظهر على ايديهم ربما استغنى عنه اكتفاء بعظيم مقدارهم وروعتهم طلعة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولزومهم طريق الاستقامة الذى هو اعظم الكرامة، مع مافتح على ايديهم من الدنيا ولا اشرأبوا (٢) لها ولابضحوا نحوها، ولااستزلت واحدا فرض الله عنهم. كانت الدنيا فى ايديهم اضعاف ماهى فى ايدى اهل دنيانا، وكان اعراضهم عنها اشد اعراض، وهذا من اعظم الكرامات. ولم يكن شوقهم الا اعلاء كلمة الله تعالى، والدعاء الى جنابه جل وعلا. فان قلت: هب انكم دفعتم شبه المنكرين للكرامات، فما دليلكم انتم على اثباتها، فان القول

---

١ .فى رسالة القشيري نحوه و زاد بعده انه قال انما سلط على ابن ادم ما يخافه و لو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيئ و هذا خبر معروف

فى الدين نفيا واثباتا يحتاج الى الدليل. قلت: اذا اندفع ما استدل به الخصوم على المنع وبطلت الاستحالة لم يبق بعدها الا الجواز، اذ لا واسطة بين المنع والاستحالة. ثم فيما ذكرناه من الواقعات على يد الصحابة مقنع لمن له ادنى بصيرة، ثم ان ابيت الا دليلا خاصا ليكون اقطع للشغب (١) وانفى للشبه. فنقول: الدليل على ثبوت الكرامات وجوه: احدها – وهو اوحدها – ما شاع وذاع، بحيث لا ينكره الا جاهل معاند من انواع الكرامات للعلماء والصالحين الجارى مجرى شجاعة علي كرم الله وجهه، وسخاء حاتم. بل انكار الكرامات اعظم مباهتة، فانه اشهر واظهر. ولايعاند فيه الا من طمس قلبه – والعياذ بالله – والثانى قصة مريم من جهة حبلها من غير ذكر، وخصول الرطب الطرى من الجذع اليابس، وحصول الرزق عندها فى غير اوانه ومن غير حضور اسبابه، على ما اخبر الله تعالى بقوله: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله﴾،وهى لم تكن نبية، لاعندنا ولا عند الخصوم. اما عندنا فلأدلة، منها قوله تعالى: ﴿ماالمسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة﴾، ومنها الاجماع على مانقل بعضهم. واما عند الخصم فلأنه يشترط ان يكون النبي ذكرا، ونحن لا نخالفه فى ذلك بل نشترط الذكورة فى الامامة والقضاء فضلا عن النبوة. هكذا ذكر بعض ائمتنا. فقال القاضى: لم يقم عندى من ائمة السمع من امر مريم وجه قاطع فى نفى نبوتها او اثباتها. فان قلت: لم لا يجوز ان تكون معجزة لزكرياء عليه السلام او يكون ارهاصا لولدها عيسى عليه السلام، قلت: لان المعجزة يجب ان تكون بمشهد من الرسول والقوم، حتى يقيم الدلالة عليهم. وما حكيناه من كراماتها نحو قول جبريل لها: ﴿وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾، لم يكن بحضور احد، بدليل قوله: ﴿فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما﴾. وايضا فالمعجزة تكون بالتماس الرسول، وزكرياء ماكان يعلم بحصول ذلك، لقوله: ﴿انى لك هذا﴾. وايضا فهذه الخوارق انما ذكرت لتعظيم شأن مريم فيمتنع وقوعها كرامة لغيرها. ولا يجوز ان يكون ارهاصا لعيسى عليه السلام، لان الارهاص ان يختص الرسول قبل رسالته بالكرامات، فاما ما يحصل به كرامة الغير لأجل انه سيجيئ بعد ذلك، فذلك هوالكرامة التى ندعيها، ولانه لوجاز ذلك لجاز فى كل معجزة ظهر على يد مدعى الرسالة ان تكون ارهاصا لنبي آخر يجيئ بعد ذلك. وتجويز

---

١ تهييج الشر

هذا يؤدى الى سد باب الاستدلال بالمعجزة على النبوة. وقريب من قصة مريم، قصة ام موسى عليه السلام وما كان من الهام الله تعالى اياها حتى طابت نفسها بإلقاء ولدها فى اليم، الى غير ذلك مما خصت به. افترى ذلك سدى، قال امام الحرمين: ولم يصر احد من اهل التواريخ ونقلة الأقاصيص الى انهانبية صاحبة معجزة. والثالث التمسك بقصة اصحاب الكهف. فان لبثهم ثلاثمائة سنين وازيد، نياما احياء من غير آفة مع بقاء القوة العادية بلا غذاء ولاشراب، من جملة الخوارق ولم يكونوا انبياء، فلم تكن معجزة، فتعين كونها كرامة. وادعى امام الحرمين اتفاق المسلمين على انهم لم يكونوا انبياء، وانما كانوا على دين ملك فى زمانهم يعبد الاوثان، فأراد الله ان يهديهم، فشرح صدورهم للاسلام، ولم يكن ذلك عن دعوة داع دعاهم، ولكنهم لما وفقوا تفكروا فاعتبروا ونظروا فاستبان لهم ضلال صاحبهم، ورأوا ان يؤمنوا بفاطر السموات والارض ومبدع الخلائق اجمعين. ولا يمكن ان يجعل ذلك معجزة لنبي آخر. اما اولا، فلأنهم اخفوه حيث قالوا: ﴿ولايشعرن بكم احدا﴾، والمعجزة لا يمكن اخفاؤها. واما ثانيا، فلان المعجزة يجب العلم بها، وبقاؤهم هذه المدة لا يمكن علم الخلق به لان الخلق لايشاهدونه، فلا يعلم ذلك الا باخبارهم. لو صح انهم يعلمون ذلك، واخبارهم بذلك انما يفيد اذا ثبت صدقهم بدليل آخر وهو غير حاصل، واما اثبات صدقهم بهذا الامر فدور ممتنع، لانه انما ثبت هذا الامر اذا ثبت صدقهم، فلوتوقف صدقهم عليه لدار، واما ثالثا، فانه ليس لذلك النبي ذكر ولا دليل يدل عليه. فاثبات المعجزة له لا فائدة فيه، لان فائدة المعجزة التصديق، وتصديق واحد غير معين محال. الرابع التمسك بقصص شتى مثل قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام فى حمل عرش بلقيس اليه قبل ان يرتد اليه طرفه على قول اكثر المفسرين بانه المراد بـ﴿الذى عنده علم من الكتاب﴾، وما قدمناه عن الصحابة رضى الله عنهم، وما تواتر عمن بعدهم من الصالحين و خرج عن حد الحصر، ولو اراد المرء استيعابه لما كفته اوساق احمال ولا اوقات جمال، ولكنا نستدل بما كانوا عليه. فقد كانوا من قبل ما نبغ النابغون، ونشأ الزائغون، يتفاوضون فى كرامات الصالحين، وينقلون ما جرى من ذلك لعباد بنى اسرائيل فمن بعدهم. وكانت الصاحابة رضى الله عنهم من اكثر الناس خوضا فى ذلك. والخامس ما اعطاه الله تعالى لعلماء هذه الامة واوليائها من العلوم حتى صنفوا كتبا كثيرة لا يمكن غيرهم نسخها فى مدة عمره صنفها، مع التوفيق لدقائق تخرج عن حد الحصر، واستنباطات تطرب ذوى النهى، واستخراجات لمعان شتى من الكتاب والسنة، تطبق طبق

الارض، وتحقيق للحق و ابطال للباطل، وما صبروا عليه من المجاهدات والرياضات والدعوة الى الحق، والصبر على انواع الأذى، وعزوف انفسهم عن لذات الدنيا، مع نهاية عقولهم وذكائهم وفطنتهم. وما حبب اليهم من الدأب، وكد النفس فى تحصيلها، بحيث اذا تأمل المتأمل ما اعطاهم الله عز وجل منه، عرف انه اعظم من اعطائه بعض عبيده كسرة خبز فى ارض منقطعة، وشربة ماء فى مفازة، ونحوهما مما يعد كرامة. فان قلت قد اكثرتم القول فى الكرامات وما افصحتم بالمختار من الاقوال المنقولات. قلت: هذا مقام معضل خطر، والاحتجار على مواهب الله تعالى لاوليائه عظيم عسير، والاتساع فى التجويز آيل الى فتح باب على المعجزات مسدود. والذى يترجح عندى القول بتجويز الكرامات على الاطلاق اذا لم تخرق عادة، وبتجويز بعض خوارق العوائد دون بعض، فلاامنع كثيرا من الخوارق وامنع كثيرا. ولي فى ذلك قدوة وهو ابو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى. فان قلت: عرفنى ما تمنعه وما لاتمنعه ليتبين مذهبك. قلت: امنع ولدا من غير ابوين، وقلب جماد بهيمة، ونحو ذلك، وسيتضح لك ذلك عند ذكر الانواع التى ابديتها على الاثر ان شاء الله تعالى. واما جمهور ائمتنا فعمموا التجويز واطلقوا القول اطلاقا، واخذ بعض المتأخرين بعدد انواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة، وهى اكثر من ذلك، وانا اذكر ما عندى فيها: النوع الاول، احياء الموتى، واستشهد لذلك بقصة ابى عبيد البسرى، فقد صح انه غزا وتحته دابة فماتت، فسأل الله تعالى ان يحييها حتى يرجع الى بسر، فقامت الدابة تنفض اذنيها. فلما فرغ من الغزوة ووصل الى بسر أمر خادمه ان يأخذ السرج عن الدابة، فلما أخذه سقطت ميتة. والحكايات فى هذا الباب كثيرة، ومن أواخرها ان مفرجا الدمامينى، وكان من اولياء الله من اهل الصعيد، ذكر انه احضرت عنده فراخ مشوية، فقال لها: طيرى فطارت احياء باذن الله تعالى. وان الشيخ الاهدل كانت له هرة ضربها خادمه فماتت فرمى بها فى خرابة، فسأل عنها الشيخ بعد ليلتين اوثلاث، فقال الخادم: لا أدرى. فقال: أما تدرى ثم ناداها فجاءت اليه تجرى. وحكاية الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه، ووضعه يده على عظام دجاجة كان قد اكلها، وقوله لها: قومى باذن الله تعالى الذى يحيى العظام وهى رميم، فقامت دجاجة سوية، حكاية مشهورة. وذكروا ان الشيخ ابايوسف الدهمانى مات صاحبه فجزع عليه اهله. فلما راى الشيخ شدة جزعهم جاء الى الميت، وقال له: قم باذن الله فقام وعاش بعد ذلك زمنا طويلا. وحكاية الشيخ زين الدين الفارقى الشافعى [١] مدرس الشافعية شهير، وقد سمعتها عن لفظ ولده ولي الله

---

١. هو عبد الله بن مروان بن عبد الله خطيب دمشق ولد سنة ٦٣٣ وتوفى سنة ٧٠٣ رحمه الله ونفعنا

الشيخ فتح الدين يحيى، فحكى لنا ما سنحكيه فى ترجمة والده، مما حاصله انه وقع فى داره طفل صغير من سطح فمات فدعا الله فأحياه. قلت: عبارته ثمه. وحكى لى غير واحد، منهم ابنه ولي الله الشيخ فتح الدين يحيى، وهو ثقة ثبت سيد كبير، ان الشيخ زين الدين نزل به بعض اصحابه ضيفا، ومعه اهله وابنة له صغيرة، فوقعت من رأس شجرة فى الدار وأيس منها. فلما اخبر بخبرها قال: والله لا ارفع رأسى حتى تقوم هذه الصغيرة. وسجد فلم يرفع رأسه حتى اخبر باستقلالها فى اسرع وقت. انتهت. ولا سبيل الى استقصاء ما يحكى من هذا النوع لكثرته وانا أومن به، غير انى أقول: لم يثبت عندى، ان وليا حيي له ميت مات من ازمان كثيرة بعد ما صار عظما رميما، ثم عاش بعد ما حيي له زمانا كثيرا. هذا القدر لم يبلغنا ولا اعتقده وقع لأحد من الاولياء. ولا شك فى وقوع مثله للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل هذا يكون معجزة، ولا تنتهى اليه الكرامة، فيجوز ان يجيئ نبي قبل اختتام النبوة باحياء امم انقضت قبله بدهور، ثم اذا عاشوا استمروا فى قيد الحياة ازمانا. ولااعتقد الآن ان وليا يحيى لنا الشافعى وابا حنيفة حياة يبقيان معها زمانا طويلا، كما عمرا قبل الوفاة، بل ولا زمانا قصيرا يخالطان فيه الاحياء، كما خالطاهم قبل الوفاة. النوع الثانى كلام الموتى، وهو اكثر من النوع قبله، وروى مثله عن ابى سعيد الخواز رضى الله عنه، ثم عن الشيخ عبد القادر رضى الله عنه، وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الامام الوالد رحمه الله. ولست اسميه النوع الثالث انفلاق البحر وجفافه والمشي على الماء، وكل ذلك كثير. وقد اتفق مثله لشيخ الاسلام وسيد المتأخرين تقى الدين ابن دقيق العيد. الرابع انقلاب الاعيان، كما حكى ان االشيخ عيسى هتار اليمنى ارسل اليه شخص مستهزئابه انائين خمرا نصب احدهما فى الآخر، وقال: بسم الله كلوا، فأكلوا، فاذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه، وقد اكثروا فى ذكر نظير هذه الحكاية. الخامس انزواء الارض لهم، بحيث حكوا ان بعض الاولياء كان فى جامع طرسوس، فاشتاق الى زيارة الحرم، فادخل رأسه فى جبته ثم اخرجه وهو فى الحرم. والقدر المشترك من الحكايات فى هذا النوع بالغ مبلغ التواتر ولاينكره الا مباهت. السادس كلام الجمادات والحيوانات. ولا شك فيه توفى كثرته، ومنه ما حكى ان ابراهيم بن ادهم جلس فى طريق بيت المقدس تحت شجرة رمان، فقالت له: يا ابا اسحاق اكرمنى بان تأكل منى شيئا. قالت ذلك ثلاثا. وكانت شجرة قصيرة ورمانها حامض، فأكل منها رمانة فطالت وحلا رمانها، وحملت فى العام مرتين وسميت رمانة العابدين. وقال الشبلى: عقدت انى لا آكل الا من حلال، فكنت ادور فى البرارى،

شجرة تين فمددت يدى لآكل منها، فنادتنى الشجرة: احفظ عليك عقدك ولا تأكل منى فانى يهودى. فكففت يدى. السابع ابراء العليل، كما روى عن السرى فى حكاية الرجل الذى لقيه ببعض الجبال يبرئ الزمنى والعميان والمرضى، وكما روى عن الشيخ عبد القادر انه قال لصبي مقعد مفلوج أعمى مجذوم: قم باذن الله تعالى فقام لا عاهة به. الثامن طاعة الحيوانات لهم، كما فى حكاية الاسد مع ابى سعيد ابن ابى الخير الميهنى، وقبله ابراهيم الخواص، بل وطاعة الجمادات، كما فى حكاية سلطان العلماء شيخ الاسلام عزالدين ابن عبد السلام، وقوله في واقعة الفرنج: ياريح خذيهم فأخذتهم. قلت: ملخص هذه الحكاية، كما ذكره فى ترجمته، ان الفرنج وصلوا الى المنصورة فى المراكب، واستظهروا على المسلمين. وكان الشيخ اذذاك مع العسكر وقويت الريح، فلما رآى حال المسلمين نادى باعلى صوته مشيرا بيده الى الريح: ياريح خذيهم عدة مرار، فعادت الريح على مراكب الفرنخ فكسرتها. وكان الفتح وغرق اكثر الفرنج. وصرخ بين يدى المسلمين صارخ: الحمد لله الذى ارانا من امة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا سخر له الريح. التاسع طي الزمان. العاشر نشر الزمان. وفى تقرير هذين القسمين عسر علي الافهام. وتسليمه لاهله اولى بذى الايمان. والحكايات فيهما كثيرة. الحادى عشر استجابة الدعاء، وهو كثير جدا وشاهدناه من جماعة. الثانى عشر امساك اللسان عن الكلام وانطلاقه. الثالث عشر جذب بعض القلوب فى مجلس كانت فيه غاية الفطرة. الرابع عشر الاخبار ببعض المغيبات والكشف، وهو درجات تخرج عن حد الحصر. الخامس عشر الصبر على عدم الطعام والشراب المدة الطويلة. السادس عشر مقام التصريف، فقد حكى عن جماعة منهم الشيئ الكثير، وذكر ان بعضهم كان يبيع المطر. وكان من المتأخرين الشيخ ابو العباس الشاطر يبيع المطر الاسعاد بالدراهم. وكثرت الحكايات عنه فى هذا الباب، بحيث لم يبق للذهن سانح فى انكارها. السابع عشر القدرة على تناول الكثير من الغداء. الثامن عشر الحفظ عن اكل الحرام، كما حكى عن الحارث المحاسبى انه كان يرتفع الى انفه زفورة من المأكل الحرام فلا يأكله. وقيل: كان يتحرك له عرق. وحكى نظيره عن الشيخ ابى العباس المرسى. وقيل: ان بعض الناس امتحنه واحضر له مأكلا حراما فيجرد ما وضعه بين يديه. قال: ان كان محاسبى يتحرك منه عرق فانا يتحرك منى عند حضور الحرام سبعون عرقا. ونهض من ساعته وانصرف. التاسع عشر رؤية المكان البعيد من وراء الحجب، كما قيل ان الشيخ ابا اسحاق الشيرازى كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد. العشرون الهيبة التى لبعضهم،

بحيث مات من شاهده بمجرد رؤيته، كصاحب ابى يزيد البسطامى الذى قدمنا حكايته، اوبحيث افحم بين يديه، اواعترف بما لعله كتمه عنه، اوغير ذلك، وهو كثير. قلت: اراد بحكاية صاحب ابى يزيد التى قدمها ما ذكره نقلا عن ناصر الدين ابن المنير المالكى ان ابا تراب النخشبى كان له تلميذ، وكان الشيخ يرفق به ويتفرس فيه الخير. وكان ابو تراب كثيرا ما يذكر ابايزيد البسطامى، فقال له الفتى يوما: لقد اكثرت من ذكر ابى يزيد، من يتجلى له الحق فى كل يوم مرات، ماذا يصنع بابى يزيد، فقال له ابو تراب: ويحك يا فتى لو رايت ابا يزيد لرايت مرأى عظيما. فلم يزل يشوقه الى لقائه حتى عزم على ذلك فى صحبة الشيخ ابى تراب، فارتحلا الى ابى يزيد فقيل لهما انه فى الغيضة، وكانت له غيضة ياوى اليها مع السباع، فقصدا الغيضة وجلسا على ربوة على سحر ابى يزيد. فلما خرج ابو يزيد من الغيضة قال ابو تراب للفتى: هذا ابو يزيد. فعند ما وقع بصر الفتى على ابى يزيد خر ميتا. فحدث ابو تراب ابا يزيد بقصته وعجب من ثبوته لتجلى الحق سبحانه وتعالى وعدم تماسكه لرؤية ابى يزيد، فقال ابو يزيد لابى تراب: كان هذا الفتى صادقا، وكان الحق يتجلى له على قدر ما عنده، فلما رآنى تجلى له الحق على قدرى فلم يطق. قال ناصر الدين: واصطلاح اهل الطريق معروف، وحاصله رتبة من المعرفة جلية وحالة من اليقظة والحضرة سربة سنية، والايمان يزيد وينقص على الصحيح. ولا تظنهم يعنون بالتجلى رؤية البصر التى قيل فيها لموسى عليه السلام على خصوصيته: ﴿لن ترانى﴾، والتى قيل فيها على العموم لا تدركه الابصار. فاذا فهمت ان مرادهم الذى اثبتوه غير المعنى الذى حصل الناس منه على الناس فى الدنيا، ووعد به الخواص فى الأخرى، فلاضير بعد ذلك عليك، ولا طريق لسوء الظن اليك، والله يتولى السرائر. قال – اعنى التاج السبكى – عقب ذلك: وهذا فى تفسير التجلى يقرب من قول ابى محمد ابن عبد السلام رحمه الله، ان التجلى والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان. واعلم ان القوم لايقتصرون فى تفسير التجلى على العلم، ولايعنون به اياه، ثم لايفصحون بما يعنون افصاحا، وانما يلوحون تلويحا، ثم يصرحون بالبراءة مما يوجب سوء الظن تصريحا. وقد ذكر القشيرى رحمه الله باب الستر والتجلى ثم باب المشاهدة ولم يفصح بتفسير التجلى، كانه خشى على فهم من ليس من اهل الطريق، وعرف ان السالك يفهمه فلم يحتج الى كشفه له. وحاصل مايقوله متأخرو القوم ان التجلى ضربان: ضرب للعوام، وهو ان يكشف صورة، كما جاء جبريل عليه السلام فى صورة دحية رضى الله عنه. قالوا: وهذا تجلى الصفة، ويضربون لذلك المرآة مثلا، فيقولون:

انت تنظر وجهك فى المرآة وليست المرآة محلا لوجهك ولا وجهك حالا فيها، وانما هناك مثالها. تعالى الله عن ان يكون له مثال، وانما يذكرون هذا تقريبا للأفهام. وضرب للخواص، وهو تجلى الذات نفسها، ويذكرون هنا لتقريب الفهم الشمس، قالوا: فانك ترى ضوء النهار فتحكم بوجود الشمس وحضورها برؤيتك الضوء. قالوا: وهذا تقريب ايضا، والا فنور البارى لوسطع لأحرق الوجود باسره الا من ثبته الله. وقد يعتضدون بحديث ابى ذر رضى الله عنه: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل رايت ربك، قال نور انى اراه. وفى لفظ رأيت نورا. اخرجه مسلم والترمذى، ولكنه حديث مؤول باتفاق المسلمين. هذا حاصل كلام القوم: وانا معترف بالقصور عن فهمه وضيق المحل عن بسط العبارة فيه. وقد جالست فى هذه المسئلة الشيخ قطب الدين محمد بن اسفهبدا الاردبيلى – اماد الله من بركته – وقلت له: اتقولون بان الذى يراه العارف فى الدنيا هو الذى وعده الله فى الاخرة، قال: نعم. قلت: فبم تتميز رؤية يوم القيامة، قال: بالبصر. فان الرؤية فى الدنيا فى هذين الضربين، انما هى بالبصيرة دون البصر. قلت: فقد اختلف فى جواز رؤية الله تعالى فى الدنيا. قال: الحق الجواز. قلت: فلا فارق حينئذ، وتجوز الرؤية بالبصر فى الدنيا. قال: الفارق انه فى الاخرة معلوم الوقوع للمؤمنين كلهم، وفى الدنيا لم يثبت وقوعه الا للنبى صلى الله عليه وسلم. وفى بعض ذوى المقامات العلية. هكذا قال. ومما قلت له: وقد ضرب المرآة مثلا قد يقال ان هذا نوع من الحلول، والحلول كفر. قال: لا، فان الحلول معناه ان الذات تحل فى ذات اخرى، والمرآة لا تحل الصورة فيها. هذا كلامه. قلت له: فما المشاهدة غير التجلى، قال: المشاهدة دوام تجلى الذات، والتجلى قد يكون معه مشاهدة، وهو ما اذا دام، وقد لايكون. انتهى. واقول اذا تبرأ القوم من تفسير التجلى بما لايمكن ولايجوز وصف الرب تعالى به. فلا لوم عليهم بعد ذلك، غير انهم مصرحون بانه غير العلم و العرفان. انتهى ملخصا.
الحادى والعشرون كفاية الله تعالى اياهم شر من يريد بهم سوأ وانقلابه خيرا كما اتفق للشافعى رضى الله عنه مع هارون الرشيد رحمه الله. قلت: اشار بهذا الى ماذكره فى موضع آخر بسنده الى الفضل بن الربيع، قال: دخلت على هارون الرشيد، فاذا بين يديه ضبارة سيوف وانواع العذاب. فقال لى: يا فضل، فقلت: لبيك يا امير المؤمنين. قال: علي بهذا الحجازى يعنى الشافعى رضى الله عنه. فقلت انا لله وانا اليه راجعون، ذهب هذا الرجل، قال: فاتيت الشافعى رضى الله عنه، فقلت له: اجب امير المؤمنين، فقال: اصلى ركعتين، فقلت: صل. فصلى ثم ركب بغلة كانت له، فسرنا معا الى دار الرشيد، فلما دخلنا الدهليز الاول

حرك الشافعى رضى الله عنه شفتيه، فلما دخلنا الدهليز الثانى حرك شفتيه، فلما وصلنا بحضرة الرشيد قام اليه امير المؤمنين كالمشرئب له، فأجلسه موضعه. وقعد بين يديه يعتذر اليه، وخاصة امير المؤمنين، قيام ينظرون الى ما اعد له من انواع العذاب، فاذا هو جالس بين يديه، فتحدثوا طويلا ثم اذن له بالانصراف. فقال لى: يا فضل، قلت: لبيك يا امير المؤمنين. فقال: احمل بين يديه بدرة. فحملت، فلما صرنا الى الدهليز الاول، قلت: سألتك بالذى صير غضبه عليك رضا الا ما عرفتنى ما قلت فى وجه امير المؤمنين حتى رضى. فقال لى: يا فضل، فقلت له: لبيك ايها السيد الفقيه، قال: خذ منى واحفظ عنى، قلت: ﴿شهد الله انه لااله الاهو﴾ الآية، اللهم انى اعوذ بنور قدسك وببركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الجن والانس الا طارقا يطرقنى بخير يا ارحم الرحمين. اللهم بك ملاذى فبك الوذ. وبك غياثى فبك اغوث، يامن زلت له رقاب الفراعنة، وخضعت له مقاليد الجبابرة. اللهم ذكرك شعارى ودثارى ونومى وقرارى. اشهد ان لااله الا انت، اضرب علي سرادقات حفظك، وقنى رعبى بخير منك يارحمن. قال الفضل: فكتبتها وجعلتها كورة عمامتى فى بركة قباى، وكان الرشيد كثير الغضب علي، وكان كلما هم ان يغضب أحركها فى وجهه فيرضى. فهذا مما ادركت من بركة الشافعى رضى الله عنه. الثانى والعشرون التطور باطوار مختلفة، وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال، ويثبتون عالما متوسطا بين عالمى الاجسام و الارواح سموه عالم المثال، وقالوا هو الطف من عالم الاجسام واكثف من عالم الارواح، و بنوا عليه تجسد الارواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال واستأنسوا له بقوله تعالى: ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾. ومنه ما حكي عن قضيب البانى الموصلى، وكان من الابدال، انه اتهمه بعض من لم يره يصلى بترك الصلاة، وشدد النكير عليه، فتمثل له على الفور فى صور مختلفة، وقال: فى أى هذه الصور رأيتنى ما اصلى. ولهم من هذا النوع حكايات كثيرة. ومما اتفق لبعض المتأخرين انه وجد فقيرا شيخا كبيرا يتوضأ بالقاهرة فى المدرسة الشرفية من غير ترتيب. فقال له: يا شيخ تتوضأ بلا ترتيب، فقال له: ما توضأت الا مرتبا، ولكن انت لا تبصر لو ابصرت لابصرت هكذا. واخذ بيده واراه الكعبة ثم فر به الى مكة، فوجد نفسه فى مكة واقام بها سنين، فى حكاية يطول شرحها. الثالث والعشرون اطلاع الله اياهم على ذخائر الارض، كما قدمناه فى حكاية ابى تراب لما ضرب برجله الارض فاذا عين ماء زلال. قلت: اراد بهذه الحكاية ما ذكره من ابى العباس الرقى، قال: كنا مع ابى تراب النخشبى فى طريق مكة، فعدل عن الطريق الى ناحية، فقال له بعض اصحابه

انا عطشان، فضرب برجله فاذا عين من ماء زلال، فقال الفتى: احب ان اشربه في قدح، فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج ابيض كاحسن مارايت، فشرب وسقانى، ومازال القدح معنا الى مكة. فقال لى ابو تراب يوما: ما يقول اصحابك فى هذه الامور التى يكرم الله عباده فقلت مارايت احدا الا وهو مؤمن بها فقال من لايؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقلت: ما اعرف لهم قولا فيه فقال: بلى، قد زعم اصحابك انها خدع من الحق، وليس الامر كذلك، وانما الخدع فى حال السكون اليها. فاما من يقترح ذلك فتلك مرتبة الربانيين. قال التاج السبكى قول ابى تراب: من لايؤمن بها فقد كفر بالغ فى الحط على منكريها. وقد تؤول لفظة الكفر فى كلامه و تحمل على انه لم يعن الكفر المخرج عن الملة، ولكنه كفر دون كفر الخ. قال: وعن بعضهم انه عطش ايضا فى طريق الحج فلم يجد ماء عند احد، فوجد فقيرا قد ركز عكازه فى موضع والماء ينبع من تحت عكازه، فملأقربته ودل الحجيج عليه فجاؤا فملؤا اوانيهم من ذلك الماء. الرابع والعشرون ماسهل لكثير من العلماء من التصانيف فى الزمن اليسير، بحيث وزع زمان تصنيفهم على زمان اشتغالهم بالعلم الى ان ماتوا، فوجد لايفى به نسخا فضلا عن التصنيف. وهذا قسم من نشر الزمان الذى قدمناه، فقد اتفق النقلة على ان عمر الشافعى رحمه الله لايفى بعشرماابرزه من التصانيف مع ما ثبت عنه من تلاوة القرآن كل يوم ختمة بالتدبر، وفى رمضان كل يوم ختمتين. كذلك واشتغاله بالدرس والفتاوى والذكر والفكر والامراض التى كانت تعتريه بحيث لم يخل رضى الله عنه من علة او علتين اواكثر، وربما اجتمع فيه ثلاثون مرضا. وكذلك امام الحرمين ابو المعالى الجوينى رحمه الله حسب عمره وما صنفه مع ما كان يلقيه على الطلبة، ويذكر به فى مجالس الذكر، فوجد لا يفى به. وقرأ بعضهم ثمانى ختمات فى اليوم الواحد. وامثال هذا كثيرة. وهذا الامام الربانى الشيخ محي الدين النووى رحمه الله، وزع عمره على تصانيفه، فوجد انه لوكان ينسخها فقط لما كفاها ذلك العمر، فضلا عن كونه يصنفها، فضلا عما كان يضمه اليها من انواع العبادات، وغيرها. وهذا الشيخ الامام الوالد رحمه الله، اذا حسب ما كتبه من التصانيف مع ماكان يواظبه من العبادات، ويمليه من الفوائد، ويذكره فى الدروس من العلوم، ويكتبه على الفتاوى، ويتلوه من القرآن، ويشتغل به من المحاكمات، عرف ان عمره قطعا لا يفى بثلث ذلك. فسبحان من يبارك لهم ويطوى لهم وينشر. الخامس والعشرون عدم تأثير السمومات وانواع المتلفات فيهم، كما اتفق ذلك للشيخ الذى قال له بعض الملوك: اما ان تظهر لى آية، والا قتلت الفقراء. وكان

جربه بعر جمال فقال: انظر فاذا هى ذهب. وعنده كوز ليس فيه ماء فأخذه ورمى به فى الهواء، فأخذه ورده ممتلئا ماء وهو منكس لم يخرج منه قطرة. فقال الملك: هذا سحر. واوقد نارا عظيمة ثم امر بالسماع، فلما دار فيهم الوجد دخل الشيخ والفقراء فى النار ثم خرج، فخطف ابنا صغيرا للملك فدخل به وغاب ساعة بحيث كاد الملك يحترق على ولده، ثم خرج بدون يده احدى يدى الصبي تفاحة وفى الاخرى رمانة، فقال له ابوه: اين كنت، قال: فى بستان. فقال جلساء الملك: هذا صنعة لا حقيقة له، فقال له الملك: ان شربت هذا القدح من السم صدقتك، فشربه وتمزقت ثيابه عليه، ثم القوا عليه غيرها فتمزقت، ثم هكذا مرارا الى ان نبتت عليه الثياب وانقطع عنه عرق كان اصابه ولم يؤثر فيه السم ضررا. واظن انواع كراماتهم تربو على المائة، وفيما اوردته دلالة على ما اهملته، ومقنع وبلاغ لمن زالت عنه غفلته. وما من نوع من هذه الانواع الا وقد كثرت فيه الاقاصيص والروايات، وشاعت فيه الاخبار والحكايات. وماذا بعد الحق الا الضلال، ولا بعد بيان الهدى الا المحال. وليس للموفق غير التسليم وسؤال ربه ان يلحقه بهؤلاء الصالحين، فانهم على صراط مستقيم. ولو حاولنا حصرما جرى لهم لضيعنا الانفاس وضيقنا القرطاس. الى هنا انتهى كلام التاج السبكى رضى الله عنه ونفعنا به، لم احذف منه كثيرا، ولم ازد عليه الانزرا يسيرا، على ان ما زدته عليه انما هو من كلامه نفسه فى موضع أخر، تخفيفا لمؤنة المراجعة عن المطالعين، وزيادة فى افادة الراغبين. والله الموفق للصواب، واليه المرجع والمآب.

فصل فى نقل كلام المحقق ابن حجر الهيتمى

وهو كالتلخيص لما تقدم عن التاج السبكى غالبا، وفيه زيادة وتحقيق وتحرير كما لا يخفى عند العالم التحرير، وسأنقل عنه مباحث أخر مناسبة للباب وأترجمها بالمسائل ان شاء الله تعالى. قال رضى الله عنه: الحق الذى عليه اهل السنة والجماعة من الفقهاء والاصوليين والمحدثين وكثيرون من غيرهم خلافا للمعتزلة ومن قلدهم فى بهتانهم من غير رؤية ولا تأمل. وكان الاستاذ ابو اسحاق يميل الى قريب من مذهبهم اويؤل كلامه اليه – كما هو الظاهر – ان ظهور الكرامة على الاولياء – وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق عباده، بجمعهم بين العلم والعمل، وسلامتهم من الهفوات والزلل – جائزة عقلا كما هو واضح، لانها من جملة الممكنات. ولايمتنع وقوع شيئ لقبح عقلى لانه لاحكم للعقل، وليس فى وقوع الكرامة مايقدح فى المعجزة بوجه، فانها لاتدل لعينها بل

الرسالة، فكما جاز تصديق مدعيها بمايطابق دعواه جاز ان يصدر عنه مثله اكراما لبعض اولياءه، وسيأتى لذلك مؤيد فى تحقيق الفرق بينهما، وواقعة نقلا مفيدة لليقين من جهة مجيئ القرآن به، ووقوع التواتر عليه قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل، وكتب العلم شرقا وغربا، وعجما وعربا، ناطقة بوقوعها متواترة تواترا معنويا لاينكره الا غبي اومعاند. فمما فى القرآن مجيئ رزق مريم اليها من الجنة، وهزها لجذع النخلة حتى تساقط عليها منه الرطب الجنى من غير اوان الرطب، وعجائب الخضر بناء على المرجوح انه ولي لا نبي، وقصة ذى القرنين واصحاب الكهف وكلام كلبهم لهم، وقصة الذى عنده علم الكتاب وهو آصف بن برخيا فى احضاره لعرش بلقيس قبل رمش العين من مسيرة اكثر من شهر. ومما فى السنة تكليم الطفل لجريج وانفراج الصخرة عن الثلاثة الذين فى الغار بدعائهم، وتكثير طعام ابى بكر رضى الله عنه فى قصة ضيفه حتى صار بعد الاكل اكثر مما كان قلبه بثلاث مرات. روى هذه الثلاثة البخارى ومسلم. ورويا ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال فى حق عمر رضى الله عنه انه من المحدثين – بفتح الدال – اى الملهمين. وصح ايضا عنه رضى الله عنه انه بينما هو يخطب على منبر المدينة يوم الجمعة واذا هو ينادى فى حال خطبته ياسارية الجبل، فعجب الناس لذلك وانكروا عليه حتى قال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بعد ذلك وشدد عليه وأخبره بما قال الناس فيه، ثم ظهر لهم قريبا الواقعة وصدقها وما فيها من الكرامات. ومنها الكشف له عن حال سارية والمسلمين وعدوهم. ومنها بلوغ صوته لسارية حتى سمع واهتدى سارية الى ان هذا صوت عمر رضى الله عنه مع بعد الشقة فانه بنهاوند من ارض العجم ومعه سرية من المسلمين فكمن لهم عدوهم فى الجبل ليستأصلوهم، فكشف لعمر رضى الله عنه عن حالهم فناداه يحذره للكمين الذى بجنب الجبل فبلغه صوته فسمعه فاستيقظوا للكمين وظفروا بهم. وروى البخارى فى صحيحه مجيئ العنقود من العنب فى غير اوانه الى خبيب رضى الله عنه لما اريد قتله بمكة، وفيه ايضا ان اسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين ايديهما. وروى البخارى ومسلم ان كلا من سعد وسعيد من العشرة المبشرين بالجنة دعا على من كذب عليه فاستجيب له بعين ماسأله. وصح فى مسلم رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب، لو اقسم على الله لابره، قيل لو لم يكن الا هذا الحديث لكفى فى الدلالة لهذا المبحث. واذا تقرر جوازها ووقوعها من غير احصاء ولا حصر فالذى عليه معظم الائمة انه يجوز بلوغها

مبلغ المعجزة فى جنسها وعظمها، وانما تفترقان فى ان المعجزة تقترن بدعوى النبوة، اى باعتبار الجنس او ما من شأنه، والا فاكثر معجزات الانبياء لاسيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقعت من غير ادعاء نبوة. والكرامة تقترن بدعوى الولاية او تظهر على يد الولي من غير دعوى شيئ، وهو الاكثر. فمن اولئك الأئمة الامام ابو بكر بن فورك ثم ساق عبارته التى فى التعريف، امام الحرمين ومخلص عبارة ارشاده الذى صار اليه اهل الحق انخراق العادات فى حق الاولياء ثم مجوزو الكرامات تحزبوا احزابا، فمنهم من شرط ان لا يختارها الولي، وبهذا فرقوا بينها وبين المعجزة وهذا غير صحيح. ومنهم من منع وقوعها على قضية دعوى الولاية لئلا تشابه المعجزة، وهذا غير مرضي عندنا بل قد تقع مع دعوى ذلك. ومن اصحابنا من شرط ان لاتكون معجزة لنبي كانفلاق البحر واحياء الموتى وهذا غير سديد. والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العادات فى معارض الكرامات، ثم ذكر بعد ان الكرامة والمعجزة ليس بينهما فرق الا وقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة والكرامة دون ادعائه النبوة. والامام ابوحامد الغزالى فانه شرط فى تسمية الخارق معجزة اقترانه بدعوى النبوة فاقتضى انه لا فرق بينها وبين الكرامة الا ذلك. ومن ثم قال فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد لما ذكر خوارق العادات فى الكرامات. وذلك اى خرق العادة مما لا يستحيل فى نفسه لانه ممكن لايؤدى الى بطلان المعجزة لان الكرامة عبارة عما يظهر من غير اقتران التحدى فان كان مع التحدى فانا نسميه معجزة. و الفخر الرازى والبيضاوى فانهما لم يفرقا بينهما الا بتحدى النبوة. وكذلك حافظ الدين النسفى فانه قال: لا يقال لو جازت الكرامة لانسد طريق الوصول الى معرفة النبى صلى الله عليه وسلم، لان المعجزة تقارن دعوى النبوة ولو ادعاها الولى كفر من ساعته. وسبقهم لذلك الامام ابو القاسم القشيرى حيث قال: شرائط المعجزة كلها اواكثرها توجد فى الكرامة الا دعوى النبوة. قال الامام اليافعى بعد نحو ذلك عن هؤلاء الائمة و غيرهم، فهؤلاء اتفقوا على ان الفارق بينهما هو تحدى النبوة فقط، ولم يشترط احد منهم كون الكرامة دون المعجزة فى جنسها وعظمها، فدل ذلك على جواز استوائهما فيما عدا التحدى كما صرح به امام الحرمين. فيجوز اجتماعهما فيما عداه من سائر الخوارق حتى إحياء الموتى. ففى رسالة القشيرى باسناده الى ابى عبد الله التسترى انه خرج غازيا فى سرية فمات المهر الذى تحته وهو فى البرية فقال يا رب اعرناه حتى نرجع الى تستر يعنى قريته. فاذا المهر قائم فلما غزا و رجع الى تستر قال لابنه: خذ السرج عن المهر فقال: انه عرق فيضره الهواء،

فقال: يا بني انه عارية، فاخذ السرج فوقع المهر ميتا. وفيها انه انطلق للغزو على حماره فمات فتوضأ وصلى ودعا الله تعالى ان يبعث له حماره ولا يجعل عليه منة لاحد فقام الحمار ينفض اذنيه. وفيها ايضا عن اعرابي انه سقط جمله ميتا ووقع رحله وقتبه فدعى ربه فقام الجمل وفوقه رحله وقتبه. وفيها ايضا عن سهل التسترى انه قال: الذاكر لله على الحقيقة لو هم ان يحيي الموتى لفعل يعنى باذن الله تعالى و مسح بيده على عليل بين يديه فبرئ وقام. قال اليافعي: وأخبرنى بعض صالحى اهل اليمن ان الشيخ الاهدل – بالمهملة – شيخ ابى الغيث رحمهم الله كانت عنده هرة يطعمها فضربها الخادم فقتلها ورماها فى خربة، فسأله الشيخ عنها بعد ليلتين اوثلاث فقال لا ادرى فناداها الشيخ فأتت اليه واطعمها على عادته. قال: واخبرنى مغربى صالح عالم اعتقده باسناده ان بعض اصحاب الشيخ ابى يوسف الدهمانى مات فحزن عليه اهله، فاتى اليه وقال: قم باذن الله تعالى، فقام وعاش ما شاء الله تعالى من الزمان. وقال ومن المشهور ما روى مسندا من خمس طرق عن جماعة من الشيوخ الاجلاء ان القطب الشيخ عبد القادر نفع الله به جاءت اليه امرأة بولدها وخرجت عند الله تعالى ولد فقبله ثم امره بالمجاهدة فدخلت امه عليه فوجدته نحيلا مصفرا يأكل قرص شعير، فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه اناء فيه عظم دجاجة قد أكلها فقالت ياسيدى تأكل لحم الدجاج ويأكل ابنى خبز الشعير فوضع يده على ذلك الطعام وقال قومى بالله محي العظام فقامت الدجاجة سوية وصاحت وقال الشيخ اذا صارابنك هكذا فليأكل الدجاج وما شاء. وقالوا مرت بمجلسه حدأة فى يوم شديد الحر وهو يعظ الناس فشوشت على الحاضرين فقال يا ريح خذى رأس هذه الحدأة فوقعت لثانى وقتها بناحية ورأسها فى ناحية فنزل الشيخ واخذها فى يده وامد يده الاخرى عليها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم قومى باذن الله فحييت وطارت والناس ينظرون وقد تكلمهم الموتى. ففى رسالة القشيرى عن ابى سعيد الخراز رضى الله عنه انه كان مجاورا بمكة فمر بباب بنى شيبة فرآى شابا حسن الوجه ميتا فنظر فى وجهه فتبسم وقال: يا ابا سعيد اماعلمت ان الاحياء احياء، وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار. وجاء مسندا من ثلاث طرق ان الشيخ عبد القادر رضى الله عنه زار ومعه ناس كثيرون قبر الشيخ حماد الدباس فأطال الوقوف عنده ثم انصرف مسرورا فسئل فأخبر انه مر مع الشيخ حماد واصحابه على قنطرة بغداد لصلاة الجمعة فدفعه فى النهر امتحانا له بشدة البرد فلم يتأثر. فأخبر اصحابه بانه جبل لايتحرك وانه رآى الشيخ حمادا فى قبره على احسن هيئة الا ان

يده اليمنى لا تطيعه. قال: فقلت له ما هذا، قال: هذه اليد التى رميتك بها فهل انت غافر لى ذلك، فقلت نعم، قال فاسأل الله تعالى ان يردها علي فوقفت اسأل الله تعالى فى ذلك وقام معى خمسة الاف ولي فى قبورهم يسألون الله تعالى ان يقبل مسألتى فيه ويتشفعون عندى فى تمام المسألة. فما زلت أسال الله تعالى فى ذلك حتى رد الله تعالى يده وصافحنى بها. ثم اجتمع المشايخ وطلبوا برهانا على هذه القصة فقال لهم: اختاروا لكم رجلين نبين لكم ذلك على لسانهما، فاختاروا شخصين غائبين وقالوا: نمهلك فقال: لاتقوموا حتى تسمعوا منهما فلم يلبثوا حتى جاء احدهما يشتد عدوا فقال: اشهدنى الله الساعة الشيخ حمادا، وقال لى: يا يوسف، اسرع الى مدرسة الشيخ عبد القادر، وقل للمشايخ الذين فيها صدق الشيخ عبد القادر فيما اخبر به عنى، فلم يتم كلامه حتى جاء الآخر واخبر بمثل ما اخبر به، فقاموا واستغفروا. وكانفلاق البحر وجفافه فى الرسالة عن بعضهم، كنا فى مركب فمات رجل منا فأخذنا فى جهازه، فلما اردنا ان نلقيه فى البحر جف، فحفرنا له قبرا ودفناه فارتفع الماء والمركب وسرنا. وكانقلاب الاعيان وهو كثير لا يحصى منه انقلاب الخمر سمنا كما وقع للشيخ عيسى الهتار اليمنى فانه مر على بغي، فواعدها ليأتيها بعد العشاء ففرحت وتزينت، وجاء ودخل بيتها وصلى ركعتين ثم خرج وقال حصل المقصود فتابت وزوجها لبعض الفقراء، وامر بعمل عصيدة وليمة وان لا يشترى لها اداما ثم حضر هو والفقراء كالمنتظرين الادام، وكان وصل الخبر لأمير خدن لها فأرسل بقارورتى خمر يمتحن الشيخ بهما ليأتدموا بهما، فأخذهما الشيخ فصبهما سمنا اطيب ما يوجد، فأكل منه الرسول وبلغ الخبر الأمير فحضر وأكل ما ادهشه فتاب لوقته. كطي الارض لهم وتعدد صور جسدهم فى امكنة مختلفة وتفجير الماء وكلام الجمادات والحيوانات لهم حتى الجن وغير ذلك مما اشتهر وتواتر تواترا دحض حجة المخالفين واباء شبه الجاهلين. قلت: مما حكى فى طاعة الجن للولي ماذكره الكمال الدميرى فى حياة الحيوان، انه جاء الى سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه رجل من اهل بغداد وذكر له ان بنتا قد اختطفت من سطح داره وهى بكر، فقال له الشيخ رضى الله عنه: اذهب هذه الليلة الى خراب الكرخ، واجلس عند التل الخامس، وخط عليك دائرة فى الارض، وقل وانت تخطها بسم الله على نية عبد القادر، فاذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف الجن على صور شتى فلا يريك منظرهم، فاذا كان السحر مربك ملكهم فى جحفل منهم، فيسألك عن حاجتك، فقل له، قد بعثنى اليك الشيخ عبد القادر، واذكر له شأن ابنتك، قال – اى الرجل – فذهبت وفعلت ما

امرنى الشيخ عبد القادر رضى الله عنه، فمرت بى صور مزعجة المنظر ولم يقدر احد منهم ان يمر على الدائرة التى انا فيها، وما زالوا يمرون زمرا زمرا الى ان جاء ملكهم راكبا فرسا وبين يديه امم منهم فوقف بازاء الدائرة، وقال: يا انسى، ما حاجتك، فقلت: قد بعثنى اليك الشيخ عبد القادر، فنزل عن فرسه وقبل الارض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه ثم قال: ما شأنك، فذكرت له قصة ابنتى، فقال: لمن حوله على بمن فعل هذا فاتى بمارد، ومعه ابنتى فقيل له: ان هذا مارد من مردة الصين، فقال: ما حملك ان اختطفت هذه من تحت ركاب القطب، فقال: انها وقعت فى نفسى، فامر به فضربت عنقه واعطانى ابنتى، فقلت: ما رايت مثل الليلة من امتثالك امر الشبخ عبد القادر، فقال: نعم انه فى داره ينظر الى مردة الجن وهم باقصى الارض فيفرون من هيبته وان الله تعالى اذا اقام قطبا مكنه من الانس والجن. انتهى. قال اليافعى ومما تفارق الكرامة فيه المعجزة ان المعجزة يجب على النبى صلى الله عليه وسلم اظهارها، والكرامة يجب على الولى اخفاؤها الا عند ضرورة او اذن اوحال غالب لايكون له فيه اختيار او تقوية يقين مريد. قال: واطلاق المحققين انه يجوز له اظهارها يحمل على بعض هذه الصور، للعلم بان اظهارها لغير غرض صحيح لا يجوز بخلافه لغرض صحيح. وضابطه ان يكون فى اظهارها مصلحة. ثم مثل بما مر فى النوع الخامس والعشرين. والنوع الثامن عشر فى كلام التاج السبكى. قال المحقق ابن حجر: واما الفرق بين الكرامة والسحر فهو ان الخارق الغير المقارن بتحدى النبوة. فان ظهر على يد صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق خلقه فهو الكرامة، اوعلى من ليس كذلك فهو السحر اوالاستدراج. قال امام الحرمين: وليس ذلك مقتضى العقل ولكنه متلقى من اجماع العلماء. انتهى. وتمييز الصالح المذكور عن غيره بين الاخفاء فيه، اذ ليست السيما كالسيما ولا الآداب كالآداب. وغير الصالح لولبس ما عسى ان يلبس لابد ان يرشح من نتن فعله اوقوله ما يميزه عن الصالح. ومن ثمه ناظر صوفي برهميا. و البراهمة قوم تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضات فطار البرهمى فى الجو فارتفعت اليه نعل الشيخ – اى الصوفى – ولم تزل تضرب رأسه وتصنعه حتى وقع على الارض منكوسا على رأسه بين يدى الشيخ والناس ينظرون. اقول: ووقع نظير هذا لشيخنا العارف ابن ابى الحمائل لما كان بفارس كور – بلد قريب من دمياط – فدخلها متوسم بوسم الصوفية، فأظهرلهم من الخوارق ما اوجب لغالب اهل البلد انهم تبعوه، فظهر منه انحلال كثير عن طريق الاستقامة حتى اغوى كثيرين. وكان له مجلس ذكر بالجامع الذى فيه شيخنا، وله به ايضا مجلس ذكر، ففى

فرغ شيخنا من مجلسه، واولئك لم يفرغوا، فانصت ساعة ثم قال: لتاسومته التى يلبسها فى الجامع. يا هذه التاسومة اذهبى الى هذا الشيخ فان كان كاذبا فاصنعيه الى ان يخرج من هذا الجامع. فلم يلبث جماعة شيخنا السامعون لكلامه الا وهم يسمعون صوت الصنع فى رقبة ذلك الشيخ، ففر وذرت جماعته حتى خرجوا من الجامع ثم من البلد، ولم نعلم اين ذهب ووقع للامام العارف البهائى السندى صاحب الامام السهروردى ان برهميا جاء مجلسه وارتفع فارتفع الشيخ حينئذ فى الهواء \ ودار فى جانب المجلس فاسلم البرهمى لعجزه عن ذلك، فانهم لايقدرون على الدوران فى الهواء وانما يرتفع الواحد منهم فى الهواء مستويا لا غير. وناظر عبد الله بن حنيف برهميا على حقيقة الاسلام ليطوى مع البرهمى اربعين يوما، فشرعا فعجز البرهمى عن اكمال المدة، واكملها ابن حنيف على غاية من اللذة والقوة. ووقع له مع برهمى ايضا انه ناظره على المكث تحت الماء مدة فمات البرهمى اثناءها وظهرت جيفته وبقى ابن حنيف حتى اكملها ثم ظهر. ومما تفترقان فيه ايضا ان دلالة المعجزة على النبوة قطعية وان النبي يعلم انه نبي ودلالة الكرامة على الولاية ظنية ولا يعلم مظهرها اومن ظهرت عليه انه ولي، وقد يعلم ذلك، وفاقا للاستاذين الكبيرين ابى علي الدقاق وابى القاسم القشيرى وردا على من نازع فى ذلك بانه ينافى الخوف، فقالا وما يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والاجلال للحق سبحانه يزيد على كثير من الخوف، انتهى، على ان التحقيق ان علم الولاية لا ينافى الخوف، الا ترى ان العشرة المبشرين بالجنة عالمون بانهم من اهلها، ومع ذلك كان عندهم من الخوف ما لا يحد كمايعلم من سيرهم فى ذلك رضوان الله عليهم، وانما كانت الكرامة بعد زمن الصحابة رضى الله عنهم اكثر. قال احمد بن حنبل رضى الله عنه لان اولئك كان ايمانهم قويا فلم يحتاجوا الى زيادة تقوى بخلاف من بعدهم فقروا بزيادة الكرامات. وقال الشهاب السهروردى وهو كالشرح لما قبله، لانهم ببركة رؤيته صلى الله عليه وسلم ومشاهدته مع نزول الوحى تنورت بواطنهم وتزكت نفوسهم وانصقلت مرآة قلوبهم فاستغنوا بما اعطوا عن رؤية الكرامة واستلماع انوار القدرة، ووطأ لهذا بقوله: وخرق العادة قد يكاشف به لضعف يقين المكاشف رحمة ناجزة وثوابا معجلا لبعض العباد، وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحجب عن قلوبهم وباشرت بواطنهم روح اليقين وصرف المعرفة، فلا حاجة لهم الى رؤية خارق. واجاب اليافعى بان الكرامة نور وزين، والنور انما يظهر حسن بهائه فى الظلمة والزين انما يظهر كمال حسنه بحسب الشين والظلمة، والشين انما وجدا بعد الصحابة رضى الله عنهم. الا ترى ان الشمس

اذا غربت لا تظهر الظلمة ولا الكواكب عقب غروبها الا بعد مزيد بعدها عن الأفق. وبان الصحابة رضى الله عنهم كانوا اهل حق وسنة وعدل ومن بعدهم بضدهم، فبعث الله تعالى فى سائر البلدان رجالا قلدهم سيوفا ماضية قطعوا بها مواد الفساد والبدع والمخالفات حتى خافهم الناس واذغنوا لهم، اى فمن ثمه كثرت فيهم تلك السيوف المكنى بها، فلا زالت دائمة مستمرة معجزة له صلى الله عليه وسلم. انتهى ملخص جوابيه. والثانى منهما يؤل حاصله الى الجوابين الاولين. والاول لايصلح جوابا لكثرة المسؤل عنها، بل لظهور عظيم موقع الكرامة فى النفوس بعد زمن الصحابة رضى الله عنهم اكثر منه فى زمنهم. وهذا مبحث آخر على انه قد يتوهم من تمثيله بالشمس والكواكب، ان الازمنة المتأخرة فيها من نجوم العارفين وكواكب المهتدين ما ليس فى الازمنة الأول. وهذا وان وجد منه افراد، الا انه بالنسبة لغير الصحابة رضى الله عنهم. اذ الصواب ان من بعدهم وان كمل ما كمل لا يصل الى غايتهم كما قال صلى الله عليه وسلم: لو انفق احدكم مثل جبل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم اى الصحابة ولانصيفه، واما قول ابن عبد البر قد يوجد فى الخلق من هو افضل من الصحابة رضى الله عنهم لحديث امتى كالمطر لايدرى اوله خير ام آخره، واحاديث اخر قريبة منه، فهو مقالة شاذة جدا، وليس فى الاحاديث دلالة، لان بعض المتأخرين قد يوجد له مزايا لا توجد فى بعض الصحابة رضى الله عنهم. ومن المقر بان المفضول قد يتميز بمزايا. ويؤيد ذلك ان ابن المبارك – وناهيك به امامة وعلما ومعرفة – سئل: ايما افضل، معاوية او عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما، فقال: والله للغبار الذى دخل انف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة واحد مثل ابن عبد العزيز. يريد بذلك ان شرف الصحبة والرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعادله عمل ولا يوازيه شرف. تتمات منها نقل اليافعى رحمه الله تعالى ان كرمات الاولياء من تتمة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، لانها تشهد للولي بالصدق المستلزم لكمال دينه، المستلزم لحقيقته، المستلزم لصدق نبيه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به من الرسالة. وكانت الكرامة من جملة المعجزة بهذا الاعتبار. ومنها لا تتعجب من انكار قوم للمعجزات وان بلغت من الكثرة والظهور الى ان صار العلم بها ضروريا بل بديهيا. فقد انكر قوم القرآن الذى هو اعظم المعجزات وأبهر الآيات ووصل العناد بهؤلاء الى ان قال الله عز وجل فى حقهم ﴿ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين﴾. وليس العجب من انكار المعتزلة الكرامات، فانهم قد خاضوا فيما

هو اقبح من ذلك، وانكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم كسؤال الملكين وعذاب القبر والحوض والميزان وغير ذلك من عظيم كذبهم وافترائهم لتقليدهم لعقولهم الفاسدة وتحكيمهم لها على الله تعالى وآياته واسمائه وصفاته وافعاله. فماراوه من ذلك موافقا لتلك العقول السقيمة الفاسدة اللئيمة، قبلوه ومالا ردوه ولم يبالوا بتكذيب السنة والقرآن والاجماع، لان كلمة الغضب حقت عليهم وقبائح المذام تسابقت اليهم. وانما العجب من قوم تسموا باهل السنة وزعموا انهم من جملة تلك المنة، ومع ذلك يبالغون فى الانكار، لان كلمة الحرمان حقت عليهم الى ان الحقتهم باهل البوار واوجبت لهم نوعا من الوبال والخسار. وهؤلاء اقسام: فمنهم من ينكر على مشايخ الصوفية ومتابعيهم، ومنهم من يعتقدهم اجمالا، وان لهم كرامات، ومتى عين له احد منهم اورآى كرامة انكر ذلك، لما خيل له الشيطان انهم انقطعوا، وانه لم يبق الا متلبس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبس عليه، وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان ايضا. وقد قرر ابن الجوزى من الوقوع فى خطرهم الا ان تكون له نية صالحة كقصده قمع مبتدعة فى زمانه. وذلك انه صنف كتابا سماه تلبيس ابليس تكلم فيه على شيوخ الصوفية وطريقهم وزعم ان ابليس لبس عليهم. قال اليافعى – ولم يدر انه هو الذى لبس عليه فى كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر –: والعجب كل العجب منه فى انكاره سادات ما بين اوتاد وابدال وصديقين وعارفين بالله قد ملؤا الوجود كرامات وانوارا ومعارف اعرضوا فى بدايتهم عما سوى الله، فحصل لهم فى نهايتهم من فضل الله مالا يعلمه الا الله، فقول الصغير منهم وقفت على باب قلبى عشرين سنة ما جاز به شيئ لغير الله الا رددته. هذا وهو يطول كلامه بحكاياتهم وينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم، فهلا اخلى كتبه من ذكرهم اخلاء عاما ولايكون ممن يحلونه عاما ويحرمونه عاما. اما علم ان علماء اعلام الائمة من المجتهدين ومن بعدهم من الائمة لم يزالوا قديما وحديثا يعتقدون الصوفية ويتبركون بهم ويستمدون منهم. ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد انه قال في حق فقير كان يعتقده ويخضع له: هو عندي خير من مائة فقيه اومن الف فقيه. وكذلك الامام النووى رضى الله عنه كان يعتقد الشيخ يس المزين ويقبل اشارته حتى انه امره بالسفر ورد ما عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليل، ففعل وسافر من دمشق راجعا لبلده نوى فتوفى بها بين اهله. وكذلك العز ابن عبد السلام كان يبالغ فى تعظيم الصوفية، وفى حكاية حياة الخضر مايرد على ابن الجوزى فى انكار حياته على انه ناقض نفسه. فانه روى باسناده المتصل

اربع روايات تدل على حياته. منها عن علي كرم الله وجهه انه رآه متعلقا باستار الكعبة، ومنها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال، ولا اعلمه الا مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يلتقى الخضر والياس فى كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه. ومنها عن علي كرم الله وجهه: انه يجتمع مع اسرافيل وجبريل وميكائيل بعرفات والحجيج بها. ولقد وقع لمن انكر على فقير فى سماع وبقربهم نساء انه رآى ذكره فرج امرأة فبهت ساعة طويلة فقام الشيخ وجاءه وقال له: هكذا تكون الفقراء اذا جلس عندهم النساء، فتاب فدعا له الشيخ فعاد لحاله الاول. قلت: ومثل هذا السماع لايباح الا لمثل هذا الشيخ واتباعه المحفوظين به، مع ان السماع الخالى عن المحرمات الظاهرة فيه اختلاف وتفصيل. وجاء غلمان السلطان لاخذ خراج ارض لبعض الفقراء، فخرج عليهم منها ثعابين فهربوا ولم يزالوا هاربين حتى انقرض الشيخ واولاده فعادوا للأخذ من اولاد الاولاد فخرجت اليهم الثعابين وتبعتهم كذلك. وانا ممن رآى تلك الارض حين خرج منها الثعابين. وسرق لبعض ذرية هذا الشيخ بقرة، فلما اراد السراق حلبها التفت الثعابين بارجلهم، فما خلصوا الا بالمبادرة بردها. انتهى كلام اليافعى – قدس الله سره – ملخصا. ولقد قال الاستاذ العارف ابو الحسن الشاذلى رحمه الله فى قوم يكذبون بكرامات اولياء زمانهم فقط: والله، ماهى الا اسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم ادركوا زمنه. ومنها ان من جملة الكرامات الخوارق التى وقعت للانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فليست معجزة لتقدمها على التحدى بل كرامات، وتسمى ارهاصا اى تأسيسا للنبوة. ذكر ذلك جمهور ائمة الاصول وغيرهم. ومنها التحدى اى طلب المعارضة والمقابلة. قال الجوهرى يقال تحديت فلانا اذا باريته فى فعل ونازعته للغلبة. وفى الآساس: حدا – يحدو وهو حادى الابل، واحتدى بها حدوا اذا غنى. ومن المجاز تحدى أقرانه اذا باراهم ونازعهم للغلبة. وأصله الحدو يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد صاحبه اى يطلب حداه، كما يقال: توفاه بمعنى استوفاه. واصل ذلك انه كان عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره، يتحدى كل منهما صاحبه بمعنى يستحديه اى يطلب منه حداه، ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل مباراة. ومنها اختلفوا فى السحر، هل تنقلب به الأعيان والطبائع، فقال قوم: نعمو كجعل الانسان حمارا. وقال قوم: لا، فالساحر والصالح لايقلبان عينا مطلقا. قالوا: والا لاشتبهت المعجزة بالكرامة والكرامة بالسحر. ويرده ما مر من امتياز

المعجزة باقترانها بالتحدى، واما زعمهم ان اكثر آياته صلى الله عليه وسلم واعمها واغلبها كان بلا تحد، كنطق الحصى والجذع ونبع الماء، ولعله لم يتحد بغير القرآن وتمنى الموت، وان عدم تسمية ما عدا هاتين آية ولا معجزة اقرب الى الكفر منه الى البدعة. وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول عند بعضها: اشهد انى رسول الله. وقد سمى الله عز وجل معجزات الانبياء آيات ولم يشرط تحديا. انتهى. فيرد بان المراد بقولهم فى المعجزة لابد من اقترانه بالتحدى بالقوة اوالفعل، ولاشك ان كل ما وقع منه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة مقرون بالتحدى، لان قرائن اقواله واحواله ناطقة بدعواه النبوة وتحديه للمخالفين واظهاره ما يقمعهم ويحديهم. فكان كل ما ظهر منه صلى الله عليه وسلم يسمى آيات ومعجزات، وقوله صلى الله عليه وسلم عند ظهور بعضها: اشهد انى رسول الله شاهد صدق على ما ذكرته، فتأمله. ومنها التمييز بين الكرامة والمعجزة بما مر، ان لفظ المعجزة خاص بخوارق الانبياء ولفظ الكرامة خاص بخوارق الاولياء، انما هو اصطلاح الخلف، واما السلف فكانوا يسمون كلا من الامرين معجزا كالامام احمد وغيره، ويخصون خوارق الانبياء باسم الآية والبرهان، وقد يسمون الكرامة آية لدلالتها على نبوة من اتبعه ذلك الولي كما مر بيانه. (تنبيه) ليس الاولياء ذووالكرامات بافضل من غير ذوى الكرامات على الاطلاق، بل قد تنبئ الكرامة على ضعف يقين اوهمة، فتعجل لمن اريد به عناية حتى يزول عنه كل من ذينك او احدهما، بل قد تقع الكرامة لمحب او زاهد ولاتقع لعارف، مع ان المعرفة افضل من المحبة عند الاكثرين، وأفضل من الزهد عند الكل، لان الزهد من اوائل المقامات، والمحبة اول الاحوال الناشئة عن مجاوزة المقامات. ويؤيد ذلك قول ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه: العارف طيار والزاهد سيار. وقال غيره: وأنى يلحق السيار الطيار. وقال ذوالنون المصرى: الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين. فعلم انه لادخل للكرامة فى الافضلية وانما منشأ الافضلية قوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى، فكل من كان اقوى يقينا واكمل معرفة كان افضل. ولهذا قال سيد الطائفة ابو القاسم الجنيد – قدس الله سره – :مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش، من هو افضل منهم يقينا، وقال ايضا: اليقين ارتفاع الريب فى مشهد الغيب. وقال سهل التسترى: حرام على قلب ان يشم رائحة اليقين وفيه سكون الى غير الله تعالى. ولا يشكل عليك ما مر من حكاية الاطلاق فى التفضيل بين المحب والعارف مع ان العارف لابد ان يكون محبا، لان المراد من ذلك انما هو التفضيل بين غلبة المحبة وغلبة المعرفة، لأن بعضهم يغلب عليه سكر المحبة وشدة الهيمان

والوله بمحبوبه، وبعضهم يغلب عليه المشاهدة وظهور الاسرار والمعارف وكثرة التجليات مع اعتدال حاله فى المحبة فى غالب الحالات فيكون اكثر معارف والاول اشد ولها وسكرا. ومن ثمه قال المحققون: المحبة استهلاك فى لذة، والمعرفة شهود فى خيرة وفناء فى محنة. انتهى. واعلم ان اليقين هو نهاية المعرفة، ومراتبه ثلاثة: علم اليقين، وهو ما ينشأ عن النظر والاستدلال. وعين اليقين، وهو مايكون من طريق الكشف والنوال. وحق اليقين، وهو مشاهدة الغيب مشاهدة العيان كما يشاهد الرائى. فالاول للأولياء والثانى لخواصهم والثالث للأنبياء. وحقيقته اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. (تنبيه ثان) علم مما تقدم ان بعض الأولياء قد يعلمه الله تعالى ببعض المغيبات، لأنه جائز عقلا وواقع نقلا، اذ هو من جملة الكرامات الخارجة عن الحصر على ممر الأعصار. فبعضهم يعلمه بخطاب، وبعضهم يعلمه بكشف حجاب، وبعضهم يكشف له عن اللوح المحفوظ حتى يراه. ويكفى بذلك ما أخبر به القرآن عن الخضر بناء على انه ولي وان كان الاصح انه نبي صلى الله عليه وسلم. وما تقدم عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه من اخباره عن حمل امرأته بانه جارية وكان كذلك، وعن عمر رضى الله عنه فى قصة سارية بن زنيم وفى كتب القوم الصوفية مالايحصى من القضايا التى اخبر فيها اخبار الأولياء بالمغيبات، كقول بعضهم: انا غدا اموت وقت الظهر، وكان كذلك، ولما دفن فتح عينيه، فقال له: راحته أحياة بعد موت، فقال: انا حى، وكل محب لله فهو حي. وروى وكقول سائل لمن حضر للانكار عليه: ﴿واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه﴾، فتاب بباطنه، فقال: ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾. وروى السهروردى عن الخولانى انه قال لرجل: عندك وديعة لفلان، فتوقف لامتناعه شرعا، ثم لما لم يجد من ذلك بدا دفع للشيخ ما طلبه، فقدم كتاب من المودع لوديعه: اعط الشيخ كذا بقدر مااخذه الشيخ. ووقع للشيخ ابى الغيث بن جميل ان قاطع طريق جاءه بحب وآخر بثور فأمر بطبخ ذلك وأكله، فامتنع الفقهاء من اكل ذلك، فبعد ان اكل الفقراء ذلك جاءه شخص قال: نذرت لفقرائك بحب، وجاء آخر وقال: كنت نذرت لهم بثور، فاخذ القطاع الحب والثور وكان الشيخ يأمر بابقاء رأس الثور فأخرجه لصاحبه فعرفه، فندم الفقهاء على مخالفة الشيخ. وامثال ذلك من الاولياء لا تحصى ويكفي دليلا قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الصحيح، ان فى امتى ملهمون اومحدثون ومنهم عمر، وقوله صلى الله عليه و سلم: اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله، ووقف نصراني على الجنيد رحمه الله تعالى، وهو يتكلم فى الجامع على الناس، فقال: ايها الشيخ ما معنى حديث

اتقوا فراسة المؤمن، فاطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: اسلم فقد جاء وقت اسلامك، فاسلم الغلام. وسئل بعضهم عن الفراسة فقال: أرواح تتقلب فى الملكوت فتشرف على معانى الغيوب فتنطق عن اسرار الخلق نطق مشاهدة وعيان لا نطق ظن وحسبان. ولاينافى ماتقرر من اطلاع الاولياء على بعض الغيوب قوله عز وجل: ﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله﴾، وقوله عز وجل ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول﴾، بناء على أن الاستثناء فى الآية الثانية منقطع، وهو ما ذهب اليه المعتزلة، واستدلوا به على نفى كرامات الأولياء، جهلا منهم ان لا يدل عليها او على خصوص علمهم بجزئيات من الغيب الا هذه الآية، ان جعلنا الاستثناء منها منقطعا ووجه عدم المنافاة أن علم الأنبياء والأولياء انما هو باعلام من الله تعالى لهم، وعلمنا بذلك انما هو باعلامهم لنا. وهذا غير علم الله تعالى الذى تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الازلية الدائمة الابدية المنزهة عن التغير وسمات الحدث والنقص والمشاركة والانقسام، بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها ماكان منها وما يكون، اويجوز ان يكون ليس بضرورى ولاكسبى ولا حادث، بخلاف علم سائر الخلق. اذا تقرر ذلك فعلم الله المذكور هو الذى تمدح به، واخبر فى الآيتين المذكورتين بان لايشاركه فيه احد، فلا يعلم الغيب الا هو، وما سواه ان علموا جزئيات منه فهو باعلامه واطلاعه لهم، وحينئذ لا يطلق انهم يعلمون الغيب، اذ لا صفة لهم يقتدرون بها على الاستقلال بعلمه. وايضا هم ما علموا وانماعلموا وايضا هم ما علموا غيبا مطلقا. لان من اعلم بشيئ منه يشاركه الملائكة ونظراؤه ممن اطلع. ثم اعلام الله تعالى للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكن لا يستلزم محالا بوجه، فانكار وقوعه عناد. ومن البداهة أنه لا يؤدى إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذى به واتصف به فى الأزل وما لايزال. وما ذكرناه فى الآية صرح به الامام النووى رحمه الله فى فتاويه فقال: معناها لا يعلم ذلك استقلالا وعلم احاطة بكل المعلومات الا الله. واما المعجزات والكرامات فباعلام الله لهم علمت، وكذا ما علم باجراء العادة. انتهى.

مسئلة

فى تحقيق الفرق بين الخطاب الذى يذكره الأولياء كقول بعضهم حدثنى قلبى عن ربى او خاطبنى ربى بكذا، وما سمعه الأنبياء من الوحي وما يتبع ذلك، قال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: فرق القطب الربانى الشيخ عبد القادر الجيلانى – نفع الله به – بين النبوة والولاية بما

حاصله ان النبوة كلام الله الواصل للنبي صلى الله عليه وسلم مع الملك والروح الأمين والولاية حديث يلقى فى قلب الولي على سبيل الالهام المصحوب بسكينة توجب الطمأنينة والقبول له من غير توقف ولا تلعثم، ورد الاول كفر والثانى نقص. وجاء الفقيه لابى يزيد معترضا عليه فقال: علمك ممن وعمن ومن اين، فقال: علمى من عطاء الله وعن الله عز وجل ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم، وقال: العلم علمان، علم ظاهر وعلم باطن، فالعلم الظاهر حجة الله على خلقه، والعلم الباطن هو العلم النافع. فعلمك يا فقيه نقل من لسان الى لسان للتعلم لا للعمل، وعلمى من علم الله عز وجل الهاما الهمنى الله من عنده، فقال له الفقيه: علمى عن الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى، فقال: للنبي صلى الله عليه وسلم علم عن الله عز وجل لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل عليهما الصلاة والسلام، فطلب منه الفقيه ان يوضح له علمه الذى ذكره، فقال: يا فقيه، اعلمت ان الله عز وجل كلم موسى تكليما وكلم محمدا صلى الله عليه وسلم ورآه كفاحا (١) وكلم الانبياء وحيا، قال: بلى، قال: اما علمت ان كلامه للصديقين والأولياء بالهام منه لهم والقى فوائده فى قلوبهم وتأييده لهم ثم انطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة. ومما يؤيد ماقلته ما الهم الله عز وجل ام موسى ان تقذفه فى التابوت ثم تلقيه فى اليم، وكما الهم الخضر فى امرالسفينة وامرالغلام والحائط وقوله لموسى ومافعلته عن امرى اى انما هو علم الله عز وجل، وقال تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ اى بناء على ما عليه الصوفية قاطبة انه ولي لا نبي، وكما الهم يوسف صلى الله عليه وسلم فى السجن فقال: ﴿ذلكما مما علمنى ربى﴾، اى وكان ذلك قبل النبوة، وكما قال ابو بكر لعائشة رضى الله عنها ان بنت خارجة حامل ببنت ولم يكن استبان حملها فولدت جارية، ومثل هذا كثير. واهل الالهام قوم اختصهم الله بالفوائد فضلا منه عليهم، وقد فضل الله بعضهم على بعض فى الالهام والفراسة. فقال الفقيه: قد اعطيتنى اصلا وشفيت صدرى. ومما يؤيد ما رواه الصوفية من ان الالهام حجة – اى فيما لا مخالفة فيه لحكم شرعى – ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى: فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، الحديث. وفى رواية: فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق، وفى اخرى: وكنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا. والحاصل ان العلماء بالله عز وجل هم الواقفون مع

---

١. قوله كفاحا اى كشفا ومعاينة يقال كفحه كمنعه اى كشف عن غطاء

الله تعالى فى العلوم والاعمال، والمقامات والاحوال، والاقوال والافعال، وسائر الحركات والسكنات والارادات والخطرات ومعادن الاسرار ومطالع الأنوار، والعارفون المحبون المحبوبون المقربون رضى الله عنهم ونفع بهم. وتقرر ذلك علم الفرق بين خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وخطاب الولي فالاول بواسطة الملك اوبغير واسطة اوبالرؤيا الصالحة او بالنفث فى الروع وكل ذلك يسمى وحيا وكلاما ينسب الى الله تعالى حقيقة، ومن انكرما علم من الدين ضرورة كفر، والثانى شيئ يلقى فى القلب يثلج له الصدر، وهو المسمى حديثا والهاما، لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث: ان فى امتى محدثون – بفتح الدال – ملهمون ومنهم عمر. واختلف العلماء فى حجية الالهام بقيده السابق، فالارجح عند الفقهاء انه ليس بحجة، اذ لا ثقة بخواطر غير المعصوم. وعند الصوفية انه حجة ممن حفظه الله تعالى فى سائر اعماله الظاهرة والباطنة، والأولياء وان لم يكن لهم العصمة لجواز وقوع الذنب ولا ينافيه الولاية. ومن ثمه قيل للجنيد: ايزنى الولي، فقال: ﴿وكان امر الله قدرا مقدورا﴾، لكن لهم الحفظ فلا تقع منهم كبيرة ولا صغيرة غالبا. قلت فى الرسالة القشيرية مانصه فان قيل: فهل يكون الولي معصوما قيل: اما وجوبا كما يقال فى الانبياء فلا، واما ان يكون محفوظا حتى لا يصر على الذنوب، ان حصلت هنات اوآفات اوزلات فلا يمتنع ذلك في وصفهم، ثم ذكر ما مر عن الجنيد. انتهى. وعلى القول بحجيته اى الالهام فهو ينسب الى الله تعالى، بمعنى انه الملقى له فى القلب كرامة لذلك الولي وانعاما عليه بما يكون سببا لمزيد له او صلاح لغيره. والله اعلم.

مسئلة

فى الأجوبة عما وقع من شطحات الأولياء التى ظاهرها انتقاد وباطنها حق، كقول ابى يزيد البسطامى: سبحانى ما فى الجبة الا الله، وقول الحلاج: انا الحق، وغير ذلك. اعلم ان ما وقع للأولياء رضى الله عنهم من الشطحات اى الكلمات اوالافعال التى عليها رائحة رعونة ودعوى للأئمة العلماء العارفين الحكماء الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان الاذكار، ومن عليهم بالاعتقاد فى اوليائه، وحمل ما صدر عنهم على احسن المحامل واقومها عنها، اجوبة مسكتة وتحقيقات مبهتة، لا يهتدى اليها الا الموفقون، ولا يعرض عنها الا المخذولون. احدها، ان تلك الكلمات حكاية عن حضرة الحق ونطق عما يليق وما شاهدوه من انوارها وغلبة التجوز فى نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية والقرب، يبسط لهم العذر ويرفع عنهم الاصر. وممن اعتمد هذا السلك الامام

قال في عوارفه: وما حكى عن ابى يزيد رضى الله عنه من قوله سبحانى، حاشا الله ان يعتقد فى ابى يزيد ان يقول مثل ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى. قال: وذلك مما ينبغى ان يعتقد فى الحلاج وحمدا لله من قوله انا الحق. ثانيها، ان ذلك وقع منهم فى حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء فى المحبة والشهود لموارد الاحوال المزعجة للقلب الآخذة له من صحوه وتمييزه. الا ترى ان بعض الهموم والواردات الدنيوية اذا وردت على القلب اذهلته واذهبت تمييزه لشدة تمكنها منه واستغراقه فى فكره وخطرها، فانه اذا كان هذا فى الامور السافلة التى لا تقاوم جناح بعوضة، فكيف بواردات الحق على القلوب، ولوامح المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب، وعوالم الملكوت المنكشفة لهم فى منازلاتهم، ومشاهدة عجائب القدرة فى ترقياتهم. فان ذلك لا يبقى فى القلب شعورا ولاتمييزا بل يصير صاحبه كالسكران الثمل، فحينئذ ينطق بما رسخ فى خلده قبل، ويرجع بطبعه قهرا عليه، الى مكان يلحظه ويعول عليه فينطق لسانه بطبق تلك الاحوال، لكن بعبارات لا يقصد بها ما يوهمه ظاهرها من اتحاد اوحلول اوانحلال. فتأمل ذلك وعول عليه تسلم. وكل سكر نشأ عن سبب جائز فصاحبه غير مكلف. وممن اعتمد هذا المسلك القطب الربانى سيدى عبد القادر الجيلانى نفع الله به. قال المحقق ابن حجر بعد سوق عبارته فى شأن الحلاج: ويكفى الحلاج شرفا مشاهدة هذا القطب له بهذا المقام مع ان الصوفية وغيرهم مختلفون فيه اختلافا كثيرا، فجماعة من العارفين كأبى العباس ابن عطاء وابى عبد الله ابن حنيف والقاسم النصراباذى رضى الله عنهم اثنوا عليه وصححوا حاله وجعلوه احد المحققين، وخالفهم اكثر المشايخ فلم يثبتوا له قدما فى التصوف ولم يقبلوه ولم يأخذوا عنه. وهذا لا ينافى ما قاله الأولون، لانه وان كان محقا بل عالما ربانيا – كما قاله ابن حنيف – الا انه كان مخلطا تكثر منه الكلمات التى ظواهرها منتقدة. فلذا اعرضوا عن الأخذ عنه ولم يثبتوا له قدما فى التصوف – اى فى التربية والاقتداء – وجعلوه فى حيز المجاذيب الذين يعتقدون ولايؤخذ عنهم، ولا يعدون من اصحاب المراتب والتصرف. فتأمل ذلك فانه مهم، واياك ان تفهم من الصوفية من ينكر عليه حاله الباطن فان الامر ليس كذلك وقد بسط الغزالى رحمه الله احواله فاجاب عن كلماته ووقائعه بما ينزه ساحته عن حلول او غيره. ثالثها ان الشطح قد يكون فيه نفع للخلق، وقد عرفوا ذلك بالهام اوكشف اوخطاب او نحوها من وجود التعريفات، كما تواتر باليمن فى الشيخ العارف الامام اسماعيل الحضرمى – نفع الله به – انه قال: من قبل قدمى دخل الجنة، فلم يزل يقبل قدمه كل زائر وان جلت مراتبه. ومن

كراماته انه كان داخلا لزبيد وقد دنت الشمس للغروب فقال لها: لا تغربى حتى ندخلها فوقفت ساعة طويلة فلما اشار اليها فاذا الدنيا مظلمة والنجوم ظهورا تاما. قلت من قبيل كلام الشيخ اسماعيل الحضرمى: من قبل قدمى دخل الجنة، ماذكره بعض العلماء ان الامام الشاطبى قال فى شأن قصيدته حرز الامانى: من حفظ هذه القصيدة دخل الجنة. فبلغ بعض المقرئين هذا الكلام فاراد ان يسأله عن ذلك، فجاء اليه وكاشف الشيخ قبل ان يسأله، فقال: نعم، من حفظها دخل الجنة بل من مات وهى فى بيته دخل الجنة، وروى انه لما فرغ من نظمها راى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام، فقام فقدم القصيدة بين يديه وقال: يا رسول الله، انظرها. فتناولها النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وقال: هى مباركة، من حفظها دخل الجنة. رابعها، ظهور المراد من اللفظ وان اشكل ظاهره، كما وقع للشيخ ابى الغيث ابن جميل – نفع الله به – انه جاء اليه جماعة من الفقهاء فقال: مرحبا بعبيدى، فاشتد انكارهم عليه وذكروا ذلك للشيخ اسماعيل المذكور قبله، فقال: صدق، انتم عبيد الهوى وهو عبده. خامسها الاشارة الى الخلافة عن الحق بالاذن له فى التصرف فى الكون، كما قال الشيخ ابو الغيث – نفع الله تعالى به –:

وحبانى الملك المهيمن خلعة * فالارض ارضى و السماء سمائى

وفى رواية وحلانى الملك المهيمن باسمه اى سره اوصفته اوبركته اوبالنيابة عنه فى التصرف فيما اذن لى فيه اوان اسمى الذى هو ابو الغيث مشتق من اسمه تعالى المغيث. سادسها قصد التخريب وهو ما يقع للملامتية، وهم قوم طابت نفوسهم مع الله فلم يريدوا ان احدا يطلع على اعمالهم غيره، فاذا راى احد منهم ان احدا اعتقد فيه خرب اى ارتكب ما يذم به ظاهره من فعل او قول، كسرقة بعض الأولياء، وهو ابراهيم الخواص – نفع الله به وناهيك به علما ومعرفة – لما رآى اهل بلده يعتقدونه سرق ثيابا من الحمام لابن المالك، وخرج يتبختر بها حتى ادرك، فضرب واخذت منه وسمى لص الحمام، فقال: الان طابت الإقامة فى هذه البلدة. فان قلت: ما تأويله فى لبس ثياب الغير، قلت: يحتمل انه علم عتبه ورضاه بل ارضاه وان لم يعلم قلبه، نظرا الى الغالب، لان من اطلع على باطن عبد انه فى غاية الصلاح، وان لبسه هذا الزمن اليسير ليطهر نفسه من النظر الى الخلق رضى له بذلك قطعا. وقد صرح الشافعى رضى الله عنه بانه يجوز اخذ خلال وخلالين من مال الغير نظرا الى ان ذلك مما يتسامح به غالبا. ومسئلتنا اولى من ذلك، لان اكثر الناس مجبولون على محبة هذه الطائفة بل كلهم منقادون الى الصادقين

اجاب بجواب اخر حين سأله فقيه عنها: لا اقنع الا بكلام الفقهاء، فقال: اليس يجوز فى ظاهر الفقه استعمال لبعض المحرمات للضرورة كالتداوى بالنجاسة، فقال الفقيه: بلى، فقال: فكذا هذا، داوى نفسه بل قلبه بهذا المحرم. وما اجبت به اولى، لان التداوى بالنجاسة ليس فيه الا حق الله تعالى، فسومح به لاجل المرض. واما هذا فحق الادمى، لايجوز الا برضاه، فكيف يجوز لاجل مصالح قلبه، فالصواب ما اجبت به، اذ لا يرد عليه ما اورده اليافعى رحمه الله على ذلك الجواب، فقال بعد قوله: لا يداوى التخريب بحرام مغلظ كالكبائر ونحوها. وفى جواز ارتكاب الحرام للتخريب بمجرد الظن حصول الفساد والضرر الراجحين على فساد الحرام. وضرره عندى فيه نظر، ويترتب على هذا سؤال، فيقال: اذا تعارض مفسدتان صغرى قطعية وكبرى ظنية فايتهما اولى بالدفع، واذا حصل الغرض من التخريب بمكروه فلا يجوز بحرام. انتهى كلام اليافعى رضى الله عنه. وتوقفه فى تعارض المفسدتين المذكورتين فيه نظر وقضية قولهم درء المفاسد مقدم على جلب المصالح تقديم دفع المفسدة القطعية صغرت اوكبرت، كما يعلم من كلام الأئمة فى المضطر يأخذ طعام الغير المستغنى عنه قهرا عليه ويقتله ان امتنع من اعطائه، وتعين القتل طريقا لتحصيله، ومع ذلك لا يأخذه مجانا، بل يبدله حالا ان قدر عليه، والا فحتى يقدر. سابعها، ان الأولياء قد يؤمرون بذلك تعريفا لجاهل اوشكرا او تحدثا بنعمة الله تعالى، كما قال سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وامدنا بمدده :

انا قطب اقطاب الوجود حقيقة * على سائر الاقطاب قولى و حرمتى
توسل بنا فى كل هول و شدة * اغيثك فى الاشياء طرا بهمتى

وكما وقع له رضى الله عنه انه بينما هو بمجلس وعظه اذا هو يقول: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى، فاجابه فى تلك الساعة: اولياء الدنيا، قال جماعة: بل واولياء الجن جميعهم، وطأطؤا رؤسهم وخضعوا له واعترفوا بما قاله الا رجلا واحدا باصبهان، ابى فسلب حاله. وممن طأطأ رأسه ابو النجيب السهروردى وقال: على رأسى، على رأسى واحمد الرفاعى فقال: وحميد منهم وسئل فقال ان الشيخ عبد القادر يقول كذا وكذا، وابو مدين فى المغرب: وانا منهم، اللهم انى اشهدك واشهد ملائكتك انى سمعت واطعت. فسئل فاخبر بما قاله الشيخ ببغداد فأرخ، فكان قول ابى مدين عقب قول الشيخ عبد القادر ذلك. وكذلك الشيخ عبد الرحيم القنادى مد عنقه وقال: صدق الصادق المصدوق. فسئل فاخبر بما قاله الشيخ. وذكر كثيرون من العارفين الذين

بقطبيته، فلم يسع احدا التخلف، بل جاء باسانيد متعددة عن كثيرين انهم اخبروا قبل مولده بنحو مائة سنة، انه سيولد بارض العجم مولود له مظهر عظيم يقول ذلك، فتندرج الأولياء فى وقته تحت قدمه. وحكى امام الشافعية فى زمنه ابو سعيد عبد الله بن ابى عصرون قال: دخلت بغداد فى طلب العلم فوافقت ابن السقاء ورافقته فى طلب العلم بالنظامية وكنا نزور الصالحين وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر اذا شاء ويختفى اذا شاء فقصدنا زيارته انا وابن السقاء والشيخ عبد القادر – وهو يومئذ شاب – فقال ابن السقاء – و نحن سائرون –: لأسألنه مسئلة لا يدرى لها جوابا، وقلت: لأسألنه مسئلة وانظر ما يقول فيها، وقال الشيخ عبد القادر: معاذ الله ان اسأله شيأ، انا بين يديه انتظر بركة رؤيته. فدخلنا عليه فلم نره الابعد ساعة، فنظر الشيخ الى ابن السقاء مغضبا وقال: ويحك يا ابن السقاء، تسألنى مسألة لا ادرى لها جوابا هى كذا وجوابها كذا، انى لأرى نار الكفر تلتهب فيك، ثم نظر الى وقال: يا عبد الله، أتسألنى عن مسألة لتنظر ما اقول فيها، هى كذا و جوابها كذا، لتخزن الدنيا عليك الى شحمة اذنيك باساءة ادبك. ثم نظر الى الشيخ عبد القادر وادناه منه واكرمه وقال: يا عبد القادر، لقد ارضيت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بحسن ادبك، كانى اراك ببغداد وقد صعدت الكرسى متكلما على الملأ، وقلت: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله، وكأنى أرى الأولياء فى وقتك وقد حنوا رقابهم اجلالا لك. ثم غاب عنا فلم نره. قال – اى ابن ابى عصرون –: اما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت امارات قربه من الله عز وجل، واجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمى الخ. واقرت الأولياء فى وقته له بذلك. و اما ابن السقاء فانه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها وفاق فيها كثيرا من اهل زمانه واشتهر بقطع من يناظره فى جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح وسمت بهى، فادناه الخليفة وبعثه رسولا الى ملك الروم، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت، فاعجب به وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية فناظرهم وافحمهم وعجزوا، فعظم عند الملك، فزادت فتنته، فتراءت له بنت الملك فاعجبته وفتن بها فسأله ان يزوجها له، فقال: الا ان تتنصر، فتنصر وتزوجها، ثم مرض فالقوه فى السوق يسأل القوت فلا يجاب، وعلته كآبة وسواد وحتى مر عليه من يعرفه، فقال له: ما هذا، قال: فتنة سببها ما ترى، قال له: هل تحفظ شيأ من القران، قال: لا، الا قوله: ﴿ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين﴾، قال: ثم خرجت عليه يوما فرايته كانه حرق وهو فى النزع، فقبلته الى القبلة فاستدار الى الشرق، فعدت فعاد، وهكذا الى ان خرجت روحه، وكان يذكر كلام الغوث ويعلم انه اصيب بسببه. قال ابن ابى عصرون:

واما انا فجئت الى دمشق، فاحضرنى السلطان الصالح نور الدين الشهيد، واكرهنى على ولاية الاوقان، فوليتها واقبلت على الدنيا اقبالا كثيرا، فقد صدق قول الغوث فينا كلنا. قال المحقق ابن حجر: وفى هذه الحكاية التى كادت ان تتواتر فى المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم فيها اتم حث على اعتقاد الاولياء والادب معهم وحسن الظن بهم ما امكن. وفيها ايضا ابلغ زجر وآكد ردع عن الانكار عليهم خوفا من ان يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقاء من تلك الفتنة المهلكة الابدية التى لا اقبح منها ولا اعظم منها. نعوذ بالله من ذلك ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرؤف الرحيم ان يؤمننا من ذلك ومن كل فتنة ومحنة بمنه وكرمه. آمين. قال: فاحذر ان تكون ممن يتحسى كأس سم الانكار فيهلك لوقته وبادر الى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته، فقد قال على لسان الصادق المصدوق، من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب اى اعلمته بانى محارب له. قال الأئمة ولم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة الا للمنكرين على اولياءه و آكلين الربا ومن حاربه الله لا يفلح ابدا. قلت: قال شيخ الاسلام: اذا لم يكن للفقيه علم باحوال القوم واصتلاحاتهم فهو فقيه خان. وقال ايضا: الاعتقاد صيغة والانتقاد حرمان. وقال الشعرانى: ومن اشد حجاب عن معرفة اولياء الله عز وجل شهود المماثلة والمشاكلة. وهو حجاب عظيم، وقد حجب الله به اكثر الاولين والآخرين كما قال تعالى حاكيا عن قوم ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق﴾، وقالوا ﴿ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾، ﴿فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه﴾، يعنى لم نر احدا يوافقه على ما يدعيه ويأمرنا به ونحو ذلك. ولكن اذا اراد الله عز وجل ان يعرف عبدا من عبيده بولي من اوليائه ليأخذ عنه الادب ويقتدى به فى الاخلاق، طوى عنه شهود بشريته، واشهده وجه الخصوصية فيه، فيعتقده بلا شك ويحبه اشد المحبة. واكثر الناس الذى يصحبون الاولياء لا يشهدون منهم الا وجه البشرية. فلذلك قل نفعهم وعاشوا عمرهم كله معهم ولم ينتفعوا منهم بشيئ، وقد اقتضت الحكمة الالهية عدم اتفاق الخلق كلهم على الاعتقاد فى واحد منهم وفى الاذعان له. وفى ذلك سر خفي، لانه لو كان الخلق كلهم مصدقين لذلك الولي لفاته اجر الصبر على تكذيب المكذبين له. ولو كانوا كلهم مكذبين له لفاته الشكر على تصديق المصدقين له والمقتفين لآثاره. فاراد الحق تعالى بحسن اختياره لأوليائه ان يجعل الناس فيهم قسمين: معتقد مصدق ومنتقد مكذب. ليعبدوا الله عز وجل فيمن صدقهم بالشكر وفيمن كذبهم بالصبر. اذ الايمان نصفان:

شكر. قال وانما نهى القوم عن المنازعة، لان علومهم مواجيد لا نقل فيها. ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد لا يجوز للسامع منازعته فيما اتى به، بل يجب التصديق ان كان مريدا، والتسليم له ان كان أجنبيا. فان علوم القوم لا تقبل المنازعة لانها وراثة نبوية. وفى الحديث: عند نبي لا ينبغى التنازع، ونهى صلى الله عليه وسلم عن الجدال، وقال فى المجادل: فليتبوأ مقعده من النار. وقال الشيخ محي الدين رضى الله عنه: اصل منازعة الناس فى المعارف الالهية والاشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول، ومجيئها بغتة من غير نقل ولا نظر، ومن غير طريق العقل، فتنكرت على الناس من حيث طريقها، فأنكروها وجهلوها. ومن انكر طريقا من الطرق عادى اهلها ضرورة، لاعتقاده فسادها وفساد عقائد اهلها، وغاب عنه ان الانكار من الوجود. والعاقل يجب عليه ان يغير منكرا انكره ليخرج عن طور الجحود. فان الاولياء والعلماء العاملين قد جلسوا مع الله عز وجل على حقيقة التصديق والصدق والتسليم والاخلاص والوفاء بالعهود وعلى مراقبة الانفاس مع الله عز وجل، حتى سلموا قيادهم اليه، والقوا نفوسهم سلما بين يديه، وتركوا الانتصار لنفوسهم فى وقت من الأوقات حياء من ربوبية ربهم عز وجل، واكتفاء بقيوميته عليهم. فقام لهم بمايقومون لأنفسهم بل اعظم. وكان تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم. والله اعلم.

مسئلة ايما افضل علماء الباطن ام علماء الظاهر

اجاب المحقق ابن حجر رضى الله عنه بقوله: ان اردت بعلماء الباطن ما هو المتبادر عند اهله، وهم العارفون بالله تعالى الذين وفقهم الله عز وجل لا فضل الاعمال، وحفظهم من سائر المخالفات فى كل الاحوال، ثم كشف لهم الغطاء، يعبدوه كانهم يرونه، واشتغلوا بمحبته عما سواه، واطلعهم على عجائب ملكه وغرائب حكمه، وقربهم من حضرة قدسه، واجلسهم على بساط أنسه، وملأ قلوبهم بصفات جماله وجلاله، وجعلهم مطالع انواره، ومعادن اسراره، وخزائن معارفه، وكنوز لطائفه، واحيابهم الدين، ونفع بهم المريدين، واغاث بهم العباد، واصلح بهم البلاد. وبعلماء الظاهر الذين عرفوا رسوم العلوم الكسبية، وعريصات الوقائع الفعلية والقولية، وغرائب البراهين العقلية والنقلية، حتى حفظوا سياج الشرع من ان يلم به طارق اويخرقه مبتدع مارق. فالأولون افضل، وان كان للآخرين فضل عظيم، بل ربما كانوا افضل من حيثية لامطلقا، ومع ذلك فافضلية الأولين على حالها، او قد يكون فى المفضول مزية، بل مزايا، هذا ان وجدت فى هؤلاء

صفة العدالة، والا فلامفاضلة، اذلا مشاركة بينهم وبين الأولين فى شيئ من صفات الكمال، لان رسوم العلوم الخالية عن الاعمال الصالحة فى الحقيقة مقت اى مقت، وغضب اى غضب، ومن ثمه جاء فى الاخبار الصحيحة من عقاب العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، ما يدهش اللب ويحير الفكر. هذا هو الحق فى هذه المسئلة، خلافا لمن اطلق الكلام فى تفضيل احد الشقين، ولم ينح هذا التفضيل الذى ابديته، ولا يرد على ذلك ما وقع لموسى مع الخضر صلى الله على نبينا وعليه وسلم، بناء على ما عليه الجمهور من الصوفية، أن الخضر ولى، لان موسى افضل منه اجماعا، لانه امتاز على الخضر بخصوصية، وانما غاية ما يتميز به الخضر انه اطلع على جزئيات من عالم الغيب لم يطلع عليه موسى، عليه السلام فتلمذ له لاجلها، وتأديبا من الله عز وجل له، اذ سئل من اعلم الناس، فقال: انا، ولم يرد العلم الى الله عز وجل، فليست قضيتهما مما نحن فيه بوجه، خلافا لليافعى رحمه الله، حيث جعلها دليلا لتفضيل الاولين. ومما يدل لأفضلية الأولين ما هو مقرر، ان العلماء انما يشرفون على قدر شرف معلومهم، وشرف العلوم تابع لشرف غاياتها، فعلوم المعارف المتعلقة بالله واسمائه وصفاته اشرف العلوم، واصحابها اشرف العلماء، ويليها فى الشرف علم الفقه، لأن غايته معرفة احكام الله وشرعه الذى تعبد به عباده، وجميع العلوم وسيلة الى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله ومعرفة عبادته، لأن الخلق لم يخلقوا الا لذلك: ﴿وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾، والعبادة تفتقر الى المعرفة، ومن فسرها بالمعرفة فهى مستلزمة للعبادة، اذ من عرف الله عرف وجوب عبادته وطاعته. ومما يوضح لك ان العلوم وسيلة لذينك العلمين، انها وسيلة لمعرفة الفقه، الوسيلة لمعرفة العمل الوسيلة للعمل الوسيلة لطاعة الله وقربه، الوسيلة لمعرفته. فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها وصل بها الى المقصود الأعظم، والا، فهو الخاسر الجاهل، وان كان بصورة عالم. ومما يدل على افضلية علم المعرفة على الفقه وغيره امور منها: ان العلوم والمعارف اللدنية تختص بها الأولياء والصديقون، والعلوم الظاهرة ينالها حتى الفسقة والزنادقة، ومن ثمه قال السهروردى فى عوارفه: وينبيك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء، ان العلوم كلها لايبعد تحصيلها مع محبة الدنيا، والاخلال بحقائق التقوى. وربما كانت محبة الدنيا عونا على اكتسابها، لان الاشتغال بها شاق على النفوس، فجلبت على محبة الجاه والرفعة، حتى اذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم اجابت الى تحمل الكلف وسهر الليل، والصبر على الغربة والاسفار وفقد الملاذ والشهوات. وعلوم هؤلاء القوم، يعنى الصوفية، لاتحصل بمحبة الدنيا، ولا تنكشف

الابمجانبة الهوى، ولا تدرس الا فى مدرسة التقوى، قال الله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾. ومنها ان شرف العلم على قدر شرف انتفاع صاحبه ونفعه الغير به، والعارفون هم الذين انتفعوا ونفعوا حقا، ويكفى فى انتفاعهم تطهير قلوبهم مما سوى الله، تعالى وامتلاؤها بمحبته ومعرفته. ومن نفعهم للخلق ان بركتهم تغيث العباد، ويدفع بها الفساد، والا، لفسدت الارض، ويقام بهم الدين، ويرشد بهم المريدون الى التطهير من كل خلق دنيئ، والترقى الى التحلى بكل وصف علي. ومن ثمه وقع لعارف ان تلميذه اراد الزنا بامرأة، فلما هم سمع صوت شيخه من بلاد بعيدة بقول: هكذا تفعل يافلان، ففر هاربا. ووقع لآخر مع تلميذه فى نظير ذلك، انه ما شعر اذهم الا والشيخ قد لطمه لطمة اذهبت بصره، فخرج وامر من جاء به الى الشيخ، فقال: ادع الله لى ان يرد بصرى، فانى تائب الى الله تعالى، فقال: نعم، ولكن لا تموت الا اعمى. فدعا له، فرد الله عليه بصره، ثم عمى قبل موته بثلاثة ايام. وكذلك وقع للشيخ ابى الغيث ابن جميل اليمنى رحمه الله انه كان له تلميذ بالعجم هم بالزنا بامرأة فضربه الشيخ بقبقابه مع زجر وغضب بحضرة الفقراء، فلم يدروا ما الخبر حتى قدم الشيخ العجمى بقبقاب الشيخ بعد شهر تائبا. وكذلك وقع لسيدي عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه، انه رمى بفردتى قبقابه اثر وضوئه مع صرختين عظيمتين، فلم تدر الفقراء ما الخبر، حتى قدمت قافلة بعد ثلاثة وعشرين يوما، فاخبروا ان عربا نهبوا اموالهم واقتسموها وهم ينظرون، فنذروا للشيخ بشيئ ان نجوا منهم، فسمعوا الصرختين وجاءهم العرب باموالهم، واخبروهم ان فردتي القبقاب جاءتا الى كبيرهم فقلتاهما، فأخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما. قلت: ومن مناقب سيدي احمد البدوى رضى الله عنه بعد موته، ماذكره الشعراني، قال: اخبرنى الخراجا الحلبى، قال: بينما انا مسافر بحمل قماش الى الولد اى مولد سيدى احمد البدوى، اذا بسبعة فرسان احاطوابى ليأخذوا ما معى، فقلت: يا سيدى احمد انا فى ذركك. فما تم الكلام حتى خرج عليهم فارس على خصان ابيض لا يرى منه الا عيناه، فطردهم حتى غابوا عنى، فعرفت انه سيدى احمد البدوى رضى الله عنه، انتهى. ومنها ما ورد فى فضل أويس القرنى رضى الله عنه ونفعنا به، وكونه افضل التابعين فى بعض روايات صحيح مسلم، مع ما فى التابعين من العلماء الكبار الذين لا يحصون. ومنها ان العز ابن عبد السلام صرح بتفضيل العارفين بالله تعالى، ومن ثمه لما سمع املاء القطب ابى الحسن الشاذلى، رحمه الله تعالى، على رسالة القشيرى صار يقول: اسمعوا هذا الكلام العجيب الغريب القريب العهد بربه. قلت عبارة الشعرانى: ولما اجتمع الأولياء والعلماء فى واقعة

الأفرنج بالمنصورة قريبا من ثغر دمياط، جلس الشيخ عز الدين اى ابن عبد السلام، والشيخ مكين الدين الأسمر، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد واضرابهم، وقرئت عليهم رسالة القشيرى، وصار كل واحد يتكلم اذ جاء الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، فقالوا له: نريد ان تسمعنا شيئا من معانى هذا الكلام. فقال: انتم مشايخ الاسلام وكبراء الزمان، وقد تكلمتم، فما بقى لكلام مثلى موضع. فقالوا له: لا، بل تكلم فحمد الله واثنى عليه وشرع يتكلم، فصاح عز الدين من داخل الخيمة وخرج ينادى باعلى صوته: هلموا الى هذا الكلام القريب العهد من الله تعالى فاسمعوه. انتهت. ومنها قول الاستاذ ابى القاسم الجنيد نفع الله به: لو علمت تحت اديم السماء علما اشرف من علمنا هذا لسعيت اليه وقصدته. وقال السهروردى رضى الله عنه الاشارة فى خبر فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم الى هذا العلم الذى هو العلم بالله وقوة اليقين، دون علم نحو البيع والطلاق والعتاق، قال وقد يكون الانسان عالما بالله ذا يقين، وليس عنده علم من فروض الكفاية. وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم اعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة، مع ان فى علماء التابعين من هو اقوم بعلم الفقه من بعض الصحابة. قال: والعلماء الزاهدون بعد الأخذ مما لابد منه اقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت ارواحهم الى مقام القرب، فافاضت على قلوبهم انوار الهيات تهيأت بها لادراك العلوم الربانية والمعارف الالهية، والله اعلم. قلت: ومنها ان حجة الاسلام الغزالى لما ذكر فى الاحياء معرفة الله تعالى والعلم به، قالوا: الرتبة العليا فى ذلك الانبياء، ثم الاولياء العارفين، ثم العلماء الراسخين، ثم الصالحين. فقدم الاولياء وفضلهم على العلماء. وكذا صرح به الأستاذ القشيرى فى اول رسالته. قال المحقق ابن حجر نفع الله به: انه صحيح لامرية فيه، اذ لا يشك عاقل ان العارف بما يجب لله تعالى من اوصاف الجلال ونعوت الكمال، وبما يستحيل عليه من الاتصاف بكل صفة لم تبلغ غاية النهاية من الكمال المطلق، افضل من العارف بمجرد الاحكام. قال العز ابن عبد السلام: العارفون بالله افضل من العارفين بالأصول والفروع، لان العلم يشرف بشرف معلومه وثمراته، والعلم بالله عز وجل وبصفاته أفضل من العلم بكل معلوم، اذ معرفة كل صفة من الصفات توجب حالا عليه، وعنها تنشأ ملازمة كل خلق سنى، والتجرد عن كل خلق دنيئ، ومن عرف سعة الرحمة، اثمرت معرفته سعة الرجاء، ومن عرف شدة النقمة اثمرت معرفته شدة الخوف، واثمر خوفه الكف عن كل معصية، مع البكاء والروع، وحسن الانقياد والاذعان. ومن شهد ان جميع النعم منه تعالى أحبه، وأثمرت

المحبة آثارها المحمودة المعروفة، وكذلك من شهد تفرده بالقطع والضر، لم يعتمد الا عليه، ولم يفوض امره الا اليه، ومن شهد تفرده بالعظمة والجلال، هابه وعامله بعظيم الانقياد والتذلل وغيرهما، فهذه بعض آثار شهود الصفة، ولاشك ان معرفة مجرد الاحكام، لاتوجب شيأ من هذه الأحوال والأعمال والأقوال، والحس يدل على ذلك، اذكثير من علماء الظاهر على غاية من الفسوق ومجانبة الاستقامة، بل منهم من ادمن النظر فى نحو كلام الفلاسفة، حتى خرج من الدين، والعياذ بالله، ومنهم من يشكك فهم فى ريبهم يترددون. والفرق بين علماء الكلام والعارفين، ان المتكلم تغيب عنه علومه بالذات والصفات فى اكثر الاوقات، فلاتدوم له تلك الأحوال، ولودامت لكان رجلا من العارفين، لانه يشاركهم فى العرفان الموجب للأحوال الموجبة للاستقامة، وكيف يساوى بين العارفين والفقهاء، والعارفون افضل الخلق، واتقاهم لله تعالى، وهو عز وجل يقول: ﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾، ومدحه تعالى فى كتابه العزيز للمتقين اكثر من مدحه للعالمين. والعارفون هم المرادون بقوله عز قائلا: ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾، دون العلماء بمجرد الأحكام، لأن الغالب عليهم عدم الخشية، وخبر الله تعالى صدق فلا يحمل الا على من عرفه وخشيه، وقد روى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما، وهو ترجمان القرآن. ثم علماء الاحكام منهم من يتعلم ويعلم لغير الله، فهذا علمه وبال عليه، وكذا من تعلم لله وعلم لغير الله، وعكسه ممن خلط عملا صالحا وآخر سيأ، ومن تعلم وعلم الله فان لم يعمل بعلمه فهو شقي مثل أولئك، وان عمل به فان كان عالما بالله وبأحكامه فهو من السعداء، وان كان من اهل الأحوال والعارفين بالله فهو من افضل العارفين، اذ حازما حازوا، وزاد عليهم بمعرفة الأحكام وتعليم اهل الإسلام. قال: ومن يقول ان العلم المتعدى أفضل من القاصر جاهل باحكام الله تعالى، بل للقاصر احوال. منها: ان يكون أفضل من المتعدى كالتوحيد والإسلام والإيمان، وكذلك الدعائم الخمس الا الزكاة، وكذلك التسبيح بعد الصلوات، فانه صلى الله عليه وسلم قدمه على التصدق بفضول الأموال وهو متعد. وقال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وقال: خير اعمالكم الصلاة، وسئل صلى الله عليه وسلم اى الأعمال افضل، قال: ايمان بالله: قيل ثم ماذا، قال: جهاد فى سبيل الله. قيل: ثم ماذا قال: حج مبرور. فهذه اعمال قاصرة وردت الشريعة بتفضيلها. ومنها: ان يكون المتعدى افضل، كبر الوالدين، فانه صلى الله عليه وسلم قيل له: اى الاعمال افضل، قال: برالوالدين. وليست الصلاة افضل من كل عمل متعد، فلو رآى مصل غريقا فيقدر على انقاذه، او وقوع قتل اوزنا اولواط.

وقدر على ازالته لزمه قطعها لذلك، وان ضاق الوقت، لان رتبته عند الله أفضل من رتبة الصلاة، اذلا يمكن تداركه بخلافها، وهذان القسمان مبنيان على رجحان مصالح الأعمال، فما كانت مصلحته فيها ارجح كان أفضل، وكذا مانص صلى الله عليه وسلم على تفضيله يكون ارجح، وان لم ندرك سبب رجحانه، فان لم نجد مصلحة تقتضى الرجحان ولا نصا به، وجب علينا التوقف حتى نعلم دليلا شرعيا على الأفضل، فنصرح به حينئذ، والا لم يجزلنا ان نقول على الله مالم يقم لنا عليه دليل، ولو تساوى اثنان مثلا في الاعمال لم يترجح احدهما الابتوالي عرفانه واستمراره لانه شرف اى شرف، وبه يزداد صلاح الأعمال واستقامتها. فللعارف رتب في الفضل والشرف بها تتفاضل الأحوال الناشئة عنها كما مر، فالمحب افضل من المتوكل، وهو من الخائف وهو من الراجى، فهذه نبذة من اوصاف العارفين بالله تعالى. ومما يدل على فضلهم على الفقهاء ما تكرم الله عز وجل به عليهم من الكرامات الخارقة للعادة، ولا يجرى شيئ من ذلك على ايدى الفقهاء الا ان سلكوا طريق العارفين، واتصفوا باوصافهم، وماسبقكم ابو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيئ وقر في صدره رضى الله عنه، ومن زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم انما فضل غيره بالاعمال الشاقة فقد ابعد، بل فضل بتكليم الله اياه تارة على لسان جبريلٍ وتارة من غير واسطة، وكذلك فضل بالعلوم والمعارف والأحوال التى اختص بها، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: انى لارجو ان أكون اعلمكم بالله واشدكم له خشية، ومن ثمه لما تقلل بعضهم قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيامه وصلاته على صلاته، انكر صلى الله عليه وسلم عليه ثم ذكر ان تفضيله عليهم انما كانت بمعرفته لله تعالى، فهذه جهات تفضيله صلى الله عليه وسلم ولا مشقة فيها. ولم لا، والله تعالى يقول لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى﴾، ونبينا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء كلهم عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام، وكثير منهم كنوح صلى الله عليه وسلم عمل وأودى وصبر اكثر منه صلى الله عليه وسلم، ثم ان النبوة من مواهب محض فضله تعالى خص بها انبياءه صلى الله عليهم وسلم، تقصر العقول عن ادراك ادنى شيئ مما اوتوه من الانوار والمعارف والقرب من الله تعالى. والآيات الباهرة الظاهرة على ايديهم تشهد بذلك، ولهذا لما شم الأولياء من هذه الرائحة طرفا حصل لهم من العرفان بقدر ما شم كل طالب منهم، وظهرت لهم كرامات من ذلك القدر الذى حصل، وزاد الانبياء ايضا انهم قادة الخلق الى الله تعالى ومعلموهم كيفية الوصول اليه، فاتبعهم العامة بحكم العلوم

الظاهرة والخاصة بحكم العلوم الباطنة، وحصل بعض تلك الامور بخلوص الاتباع، ومن رام زيادة واعتقد قوة لم يصل اليها. ولقد خرجت اقوال قوم من اهل الطريق استغرقوا، فوقعوا فى الاعتراض عليهم كالحلاج ونظرائه، ولقد اشار الاستاذ القشيرى الى انه لا يقتدى بكل اشياخ رسالته، بل بعضهم وبينهم. ومن ذلك ما نقل عن ابى يزيد البسطامى: خضنا بحرا وقف الانبياء على ساحله. ومعنى هذا ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقفوا ساحل بحار الشهوات والارادت ونحوها ينقذون اتباعهم من الغرق فى البحار فهو غاية فى مدحهم والثناء عليهم، وليس فيه شيئ من الاعتراض الاما يتبادر من ظاهره على ما زعمه المعترض على المتكلمين بمثل هذه الكلمة، حيث زعم انهم يفضلون الأولياء على الانبياء، ومعاذ الله ان يصدر ذلك من احد منهم، لانهم اعرف بالله وباحكامه وبالأنبياء ومراتبهم من غيرهم. واجاب بعضهم عن تلك الكلمة بما يقرب مما قدمته فقال: معناها انهم وقفوا بساحل السلامة ليتبعهم فيه عموم الناس لكونه ظاهرا مبلغا محل السلامة من غير تعمق، وخاض الخواص فى غوامضه، وادركوا منه اشياء من المعارف والأحوال لم يدركها أولئك العامة بالساحل. واجاب بعضهم: بان المراد ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام خاضوا بحر المعارف وقطعوه واحاطوا بجميع اسراره ولم يبق عليهم منه شيئ، واما الأولياء فانهم خاضوا شيأ قليلا منها بل اكثرهم غرق فيه وتاه، ولم ينج منه الا القليل ممن سبقت له السلامة فى علم الله تعالى، والبقية امتحنوا لعدم ضبط ظواهرهم، ومن ثمه زاغ كثير من الصوفية الذين لم يتأدبوا بآداب الشريعة اذ الخير كله فى اتباعه صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديه، فمن قيد نفسه باحكام الشريعة الظاهرة وعمر باطنه بالخشية ونحوها مما مر، فقد اندرج فى سلك القوم السالمين من اللوم الحقنا الله بهم ونظمنا فى سلكهم آمين. واما قولهم: ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه، فمعناه كما قال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: ان الله عز وجل يفيض على اوليائه الذين اتقنوا الأحكام الظاهرة، والأعمال الخالصة من مواقع الالهام والتوفيق، والأحوال والتحقيق، ما يفوقون به على غيرهم، فمن ثبتت له الولاية التى لا ينشأ كمالها الا عما ذكرنا فثبتت له تلك العلوم والمعارف، فما اتخذ الله وليا جاهلا بذلك، ولو فرض انه اتخذه: اى اهله الى ان يصير من اوليائه لعلمه اى لالهمه من المعارف ما يلحق به غيره. فاالمراد الجاهل بالعلوم الوهبية والاحوال الخفية لا الجاهل بمبادى العلوم الظاهرة، مما يجب عليه لعمله. فان هذا لا يكون وليا ولا يراد للولاية ما دام على جهله بذلك، بل اذا اراد الله تعالى ولايته الهمه تعلم ما يجب عليه، لانه لايمكن

الالهام فيه، فاذا تعلمه واتقن عباداته، افاض تعالى عليه من علوم غيبه مالا يدرك بكسب ولا اجتهاد. وبما تقرر، علم ان علم الشرائع لا يدرك الا بالتعلم الحسى، الا ترى الى ما وقع فى قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام لكن معنى قول الخضر عليه السلام لموسى عليه الصلاة والسلام: انك على علم لا اعلمه انا، اى لا اعلم خصوص شرعك او كماله، والا فالخضر كان له شرع آخر، بناء على الاصح انه نبي، ويلزم من كونه نبيا ان له شرعا غير شرع موسى. ومعنى قوله: وانا على علم لا تعلمه انت، اى لا تعلم خصوص ما اوتيته، فلا ينافى ان موسى عليه الصلاة والسلام علم من المعارف والالهامات والاحوال والخصوصيات مالم يخظ به الخضر عليه الصلاة والسلام. ومما يؤيد ما قدمته ما حكاه الامام المحقق ابن عرفة المالكى من الاجماع على ان علم الشرائع لا يكون الا بقصد التعليم، واما الذي يعلمه لأوليائه فهو الالهامات والأنوار والمعارف حتى لا يمكن ان تحصل بسبب بل بمحض فضل الله عز وجل ومنته والله اعلم.

مسئلة فى البحث عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فى اليقظة

قال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: انكر ذلك جماعة وجوزه آخرون، وهو الحق، فقد أخبر بذلك من لايتهم من الصالحين بل استدل بحديث البخارى: من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة، اى بعينى رأسه وقيل بعين قلبه، واحتمال ارادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة، على انه لا فائدة فى التقييد حينئذ لان امته صلى الله عليه وسلم كلهم يرونه يوم القيامة، من رآه فى المنام ومن لم يره فى المنام. وفى شرح ابن ابى جمرة لمختصره ترجيح بقاء الحديث على عمومه فى حياته ومماته لمن له اهلية الاتباع للسنة ولغيره، قال: ومن يدعى الخصوص من غير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم فقد تعسف. ثم الزم منكر ذلك بانه غير مصدق بقول الصادق، وبانه جاهل بقدرة القادر، وبانه منكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السنة الواضحة. قال المحقق ابن حجر: ومراده بعموم ذلك وقوع رؤية اليقظة الموعود بها لمن رآه فى النوم ولو مرة واحدة تحقيقا لوعده الشريف الذى لا يخلف، واكثر ما يقع ذلك للعامة قبل الموت عند الاحتضار، فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده، واما غيرهم فيحصل لهم ذلك قبل ذلك بقلة او بكثرة بحسب تأهلهم وتعلقهم واتباعهم للسنة، اذ الاخلال بها مانع كبير. وفى صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما ان الملائكة كانت تسلم عليه اكراما له لصبره على الم البواسير، فلما كواها انقطع سلام الملائكة عنه، فلما ترك

لكون الكي خلاف السنة منع تسليمهم عليه مع شدة الضرورة اليه، لأنه يقدح فى التوكل والتسليم والصبر. وفى رواية البيهقى كانت الملائكة تصافحه، فلما كوى تنحت عنه. وفى كلام حجة الاسلام الغزالى تصريح بانهم، اى الصوفية، وهم فى يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء، ويسمعون منهم اصواتا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال الى درجات يضيق عنها نطاق الناطق، وقال تلميذه ابو بكر ابن العربى المالكى: ورؤية الانبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة. وفى المدخل لابن الحاج المالكى ايضا: رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة باب ضيق، وقل من يقع له ذلك الا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان، بل عدمت غالبا، مع اننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم، قال: وقد انكر بعض علماء الظاهر ذلك محتجا بان العين الفانية لا ترى العين الباقية وهو صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء والرائى فى دار الفناء، ورد بان المؤمن اذا مات يرى الله تعالى وهو لا يموت، والواحد منهم يموت فى كل يوم سبعين مرة. واشار البيهقى الى رده بان نبينا صلى الله عليه وسلم رآى جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ليلة المعراج، قال البارزى وقد سمع من جماعة من الاولياء فى زمننا وقبله انهم رأوا النبي عليهم الصلاة والسلام يقظة حيا بعد وفاته. ونقل اليافعى وغيره عن الشيخ الكبير اى عبد الله القرشى انه وقع بمصر غلاء كبير، فتوجه للدعاء برفعه، فقيل له لا تدع فلا يسمع لأحد منكم فى هذا الامر دعاء، قال: فسافرت الى الشام، فلما قربت الى قريب ضريح الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام تلقانى فقلت: يا رسول الله اجعل ضيافتى عندك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم. قال اليافعى: فقوله تلقانى الخليل، قول حق لا ينكره الا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض، وينظرون الأنبياء احياء غير اموات، كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى السماء وسمع خطابهم، وقد تقرر ان ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدى. وحكى ابن الملقن فى طبقات الأولياء ان الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه قال: رايت النبي صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لى: يا بني لم لا تتكلم، قلت: يا ابتاه انا رجل اعجمي كيف اتكلم على فصحاء بغداد، فقال لى: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه سبعا وقال: تكلم على الناس، وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرنى خلق كثير

عليا كرم الله وجهه قائما بازائى فقال: يا بني لم لا تتكلم فقلت يا ابتاه قد ارتج علي، فقال: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه ستا، قلت: لم لاتكملها سبعا، قال: ادبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم توارى عنى، وقال فى ترجمة غيره: كان كثير الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم، يقظة ومناما. وذكر الكمال الأدفوى عمن اخذ عنه ابن دقيق العيد وغيره وعن غيره، وقال التاج ابن عطاء الله عن شيخه الكمال العارف اى العباس المرسى: صافحت بكفى هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحكى ابن فارس عن سيدى علي وفا رضى الله عنه قال: كنت وانا ابن خمس سنين اقرأ القرآن على رجل فأتيته مرة، فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، وعليه قميص ابيض قطن، ثم رايت القميص علي، فقال: اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى والم نشرح، ثم غاب عنى. فلما ان بلغت احدى وعشرين سنة احرمت بصلاة الصبح بالقرافة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهى فعانقنى فقال: واما بنعمة ربك فحدث، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت. والحكايات فى ذلك عن اولياء الله تعالى كثيرة جدا، ولا ينكر ذلك الا معاند او محروم. وعلم مما مر عن ابن العربى ان اكثر ما تقع رؤيته صلى الله عليه وسلم بالقلب ثم بالبصر، لكنها به ليست كالرؤية المتعارفة، وانما هى جمعية حالية وحالة برزخية وامر وجدانى، فلا يدرك حقيقته الا من باشره، كذا قيل ويحتمل ان المراد الرؤية المتعارفة بان يرى ذاته طائفة فى العالم او تكشف له الحجب له بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى قبره، فينظره حيا فيه رؤية حقيقة اذ لا استحالة، لكن الغالب ان الرؤية انما هى لمثاله لا لذاته، وعليه يحمل قول الغزالى: ليس المراد انه يرى جسمه وبدنه، بل مثالا له صار ذلك المثال آلة يتأدى به المعنى الذى فى نفسه، والآلة اما حقيقية واما خيالية، والنفس غير الخيال المتخيل، فما رآه من الشكل بل هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولا هو شخصه بل هو مثال له على التحقيق، قال: ومثل ذلك من يرى الله تعالى فى المنام، فان ذاته تعالى منزه عن الشكل والصورة، ولكن تنتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره، ويكون ذلك المثال حقا فى كونه واسطة فى التعريف، فيقول الرائى: رأيت الله فى المنام لا يعنى انى رايت ذات الله كما يقول فى حق غيره. قال المحقق ابن حجر: ثم رايت ابن العربى صرح بما ذكرته من انه لا يمتنع لرؤية ذات النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده، لانه وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام احياء ردت اليهم ارواحهم بعد ما قبضوا، واذن لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى، ولا مانع من ان يراه كثيرون فى وقت

واحد لانه كالشمس، واذا كان القطب يملأ الكون كما قاله التاج ابن عطاء الله، فما بالك بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولايلزم من ذلك ان الرائى صحابى، لان شرط الصحبة الرؤية فى عالم الملك، وهذه رؤية وهو فى عالم الملكوت وهى لا تفيد صحبة، والا لثبتت لجميع امته صلى الله عليه وسلم، لانهم عرضوا عليه فى ذلك العالم فرآهم ورأوه كما جاءت به الاحاديث، اما الرؤيا المنامية له صلى الله عليه وسلم فأجل من ان تحصى.

مسئلة فى البحث عن رؤية الله تعالى

اما رؤية الله تعالى عز وجل فى الدنيا يقظة فقال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: ان الكلام هنا فى مقامين. الأول: فى امكانها عقلا، والذى عليه اهل السنة انها ممكنة عقلا وشرعا فى الدنيا، واستدلوا لذلك بامور عقلية وامور نقلية، لكن ادلتهم العقلية لاتخلو من دخل وخفاء، فالمعول عليه فى امكانها انما هو الأدلة النقلية. فمنها ان موسى عليه الصلاة والسلام قد سألها بقوله: ﴿رب ارنى انظر اليك﴾، فلو لم تكن الرؤية ممكنة جائزة الوقوع فى الخارج لكان طلب موسى لها جهلا منه بما يجوز على الله وما لا يجوز، اوسفها اوعبثا اوطلبا للمحال، والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعون منزهون عن كل فرد فرد من ذلك اجماعا بل من جوز واحدا من هذه على واحد منهم فهو كافر مراق الدم، وايضا فالله تعالى قد علق الرؤية على استقرار الجبل وهو امر ممكن فى نفسه، فوجب كون المعلق به كذلك اذ المحال لا يعلق بممكن اصلا. الثانى: فى وقوعها، وهذا غير الاول كما هو واضح، فالرؤية وان كانت ممكنة عقلا وشرعا عندنا اهل السنة لكنها لم تقع فى هذه الدار لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ليلة المعراج بالعين وكذا له على قول بعض الصحابة رضى الله عنهم لكن جمهور اهل السنة على وقوعها له صلى الله عليو وسلم فى ليلة المعراج بالعين. اذا تقرر ذلك علم منه انه لا يجوز لأحد ان يدعى انه رآى الله بعين رأسه، ومن زعم ذلك فهو كافر مراق الدم، كما صرح به من أئمتنا صاحب الانوار ونقله عنه جماعة واقروه. وملخص عبارته: ان من قال انه يرى الله عيانا فى الدنيا ويكلمه شفاها فهو كافر. قال المحقق ابن حجر: والوجه انه لايشترط في كفر من زعم انه يرى الله عيانا فى الدنيا ويكلمه شفاها اجتماع هذين خلافا لما توهمه عبارة الأنوار، بل يكفر زاعم احدهما. قال: وفى الآيات والاحايث ما يدل لذلك، لكن يتعين حمله على عالم او جاهل مقصر بجهله، وقد ضم الى زعمه الرؤية بعينه، زعمه اعتقاد وجود جسم ولازمه من الحدوث اوما يستلزمه كالصورة واللون ونحوهما، فهذا هو الذى يتجه الحكم بكفره، لأنه حينئذ لم يعتقد

قدم الحق ولاكماله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. واما من اعتقد رؤية عين منزهة عن انضمام ذلك اليها، فلا يظهر الحكم بكفره بمجرد ذلك، لان المنقول المتعمد عندنا عدم كفر نحو المجسمة، الا ان اعتقدوا الحدوث اوما يستلزمه، ولا نظر الى لازم مذهبهم، لأن الاصح فى الاصول ان لازم المذهب ليس بمذهب، لجواز ان يعتقد الملزوم دون اللازم، ومن ثمة قلنا: لو صرح باعتقاد لازم الجسمية كان كافرا، واذا تقرر هذا فى نحو المجسمة فكذا يقال به فى زاعم رؤية العين. فان قلت: الفرق بينهما واضح فان هؤلاء المجسمة قد ورد الكتاب والسنة مايصرح بقولهم: لولا ما امتن الله به على الأمة من توفيق سلفها وخلفها الى صرف تلك النصوص عن ظواهرها، وانما الخلاف بين السلف والخلف فى التأويل التفصيلى، فالسلف يرجحون اولوية الامساك عنه لعدم احتياجهم اليه لصلاح زمنهم، والخلف يرجحون اولوية التأويل. واما زاعم الرؤية بالعين فقد ورد من الأدلة القطعية ما يشدد النكير على قائلها واقترن به ما يقوى استنكار ذلك واستعظامه، كقوله تعالى: ﴿واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخدتكم الصاعقة وانتم تنظرون﴾، وقوله تعالى ﴿يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخدتهم الصاعقة بظلمهم﴾ و قوله سبحانه و تعالى ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا﴾. وثبت فى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال: واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا، وحينئذ فينبغى كفر زاعم الرؤية بالعين فى الدنيا مطلقا بخلاف المجسمة. قلت: بعد ان قرر الأئمة وعلماء الأمة وحفاظ الملة تلك الايات والاحاديث و صرفوها عن ظواهرها كما تقررلم يبق لاحد عذر فى اعتقاد ظواهرها، فمن فعل ذلك فقيل يكفر مطلقا، وقيل ان قال جسم كالاجسام كفر والا فلا، وعليه جرى الامام النووى رحمه الله فى موضع، وقيل لايكفر مطلقا وهو المشهور من مذهبنا ايها الشافعية مالم يضم لذلك اعتقاد بعض تلك اللوازم كما مر، وحينئذ فينبغى ان يجرى نظير هذا الخلاف كله فى مدعى الرؤية بالعين، فيكون الاصح عدم كفره، الا ان ضم لذلك اعتقاد حدوث اوما يؤدى مؤداه، لان ملحظ التكفير وعدمه فى المجسمة ونحوهم ليس العذر وعدمه، لان الكلام فى العالم وانما الملحظ اعتقاد النقص وملزومه، ولا شك ان هذين يجريان فى زاعم الرؤية بالعين فى دار الدنيا، فكما جرى ذلك الخلاف كذلك يجرى هنا، اذ لا فارق يعتد هنا به كيف والامام العالم الربانى المترجم بشيخ الكل فى الكل ابو القاسم القشيرى رحمه الله

تعالى يجزم بانه لا يجوز وقوعها فى الدنيا لاحد غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا على وجه الكرامة وادعى ان الامة اجتمعت على ذلك، فاذا اجمعوا على امتناع وقوعها كان زاعمه لنفسه خارقا للاجماع مدعيا ما قد يترتب عليه نقص، فمن ثمه قالوا بكفره وقيدته بما مر. فان قلت: حكى عن ابى الحسن الاشعرى رحمه الله قوله بوقوعها، فكيف الاجماع حينئذ، قلت: ان صح الاجماع فواضح انه لا ينظر اليه وان قائله انما قاله لظنه عدم الاجماع، وان لم يصح كان هذا القول فى غاية الشذوذ ولا ينظر اليه ايضا، ولا يمنع وجود التكفير لزاعم ما قدمته بشرطه. قلت يؤيد حكاية الاجماع فى ذلك ما نقل عن سيدى عبد القادر الجيلانى، انه رفع اليه شخص ادعى انه يرى الله عز وجل بعينى رأسه، فقال الشيخ له: احق ما يقولون عنك، فقال نعم، فانتهره ونهاه من هذا القول واخذ عليه ان لا يعود اليه. قال الراوى فقيل للشيخ، امحق هذا ام مبطل، فقال: هذا محق ملبس عليه، فذلك شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته الى بصره لمعة فرآى بصره ببصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده، فظن ان بصره رآى ما شهده ببصيرته، وانما رآى بصره ببصيرته فقط وهو لايدرى، قال الله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾. قال: وكان جمع من المشايخ واكابر العلماء حاضرين هذه الوقعة، فاطربهم سماع هذا الكلام ودهشوا من حسن افصاحه عن حال الرجل. واما وقوعها فى المنام فهو الصحيح المختار، كما قاله شيخ الاسلام زكريا، فقد نقل وقوعها لكثير من العلماء العاملين كرامة لهم، روى غير واحد ان الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه انه قال: رايت فى المنام رب العزة جل وعلا، فقلت: يارب ما افضل ما يتقرب به المتقربون، قال: كلامى يا احمد فقلت: يارب بفهم وبغير فهم، فقال: بفهم وبغير فهم. وفى الرسالة القشيرية قال يحيى بن سعيد القطان: رايت ربى عز وجل فى المنام فقلت يارب كم ادعوك فلا تستجيب لى، فقال تعالى: يايحيى انى احب ان اسمع صوتك. ورآى ابو بكر الآجرى الحق، سبحانه، فى النوم، فقال له: سل حاجتك، فقال: اللهم اغفر لجميع عصاة امة محمد صلى الله عليه وسلم. فقال: انا اولى بهذا منك، سل حاجتك، وعن ابى يزيد اى البسطامى انه قال: رايت ربي عز وجل فى المنام، فقلت: كيف الطريق اليك، فقال: اترك نفسك وتعال، ورآى احمد خضرويه ربه عز وجل فى المنام، فقال: يا احمد كل الناس يطلبون منى الا ابا يزيد فانه يطلبنى. وقال ابو المظفر منصور بن محمد السمعان: كنت حنفيا فحججت، فرأيت رب العزة فى المنام، فقال: عد الينا يا ابا المظفر فانتبهت وعلمت انه يريد مذهب الشافعى رضى الله عنه، فرجعت

انتقلت اليه. قال التاج السبكي: وبلغنا انه مرض للاستاذ ابى القاسم اى القشيرى ولد مرضا شديدا، بحيث آيس منه، فشق ذلك على الاستاذ، فرآى الحق عز وجل فى المنام فشكى اليه، فقال له الحق تعالى: اجمع ايات الشفاء واقرأها عليه، واكتبها فى اناء واجعل فيه شروبا واسقه اياه، ففعل ذلك فعوفى الولد. والحكايات فى نظير ذلك كثيرة، وذكر بعض المعبرين نقلا عن ابن سيرين ان الانسان اذا رآى فى منامه ربه عز وجل يكلمه، فانه يدخل الجنة وينجو من هم كان فيه، والله اعلم. اما فى الآخرة فيراه تعالى المؤمنون عيانا قبل دخول الجنة وبعده، كما ثبت فى الاخبار الصحيحة، رواها جماعة كثيرة من الصحابة رضى الله عنهم، قال فى الاتحاف ومن بعدهم من الاتباع واتباعهم حتى وصل الينا ذلك، وقبلها العلماء منهم احسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا عنهم الاخبار ان المؤمنين يرون الله عز وجل لا يشكون فى ذلك، ثم قالوا من رد هذه الاخبار فقد كفر. ثم نقل عن الامام احمد رضى الله عنه نصا فيه: من فال ان الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس اليس الله عز وجل قال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾. فمن تلك الاخبار عن ابى هريرة رضى الله عنه ان الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون فى القمر ليلة البدر، قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فانكم ترونه كذلك الخ. وفى بعض طرق هذا الحديث: ان ذلك فى الموقف. ومنها عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآى القمر ليلة البدر، فقال: انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، لاتضارون فى رؤيته، فان استطعتم ان لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾. ومنها عن صهيب رضى الله عنه، انه صلى الله عليه وسلم قال: اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا ازيدكم فيقولون: الم تبيض وجوهنا، الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل، فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم. وفى رواية: فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر اليه ولا اقر لاعينهم، وفى أخرى زيادة، ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾، اى فا الحسنى الجنة والزيادة النظر اليه تعالى، كما ورد هذا التفسير عن

جماعة من الصحابة، منهم ابو بكر الصديق، وعلي، وحذيفة، وابن مسعود وابن عباس، وغيرهم رضى الله عنهم، وكذلك عن طائفة من التابعين، كعامر البجلى، وقتادة، وابن ابى ليلى، وغيرهم. ومنها احاديث أخر عن جابر بن عبد الله، وابى سعيد الخدرى، وابى ذر بن العقيلى، وابى موسى الاشعرى، وابن عباس، وانس بن مالك، وابن عمر، وعدى بن حاتم، وكعب ابن عجرة بالفاظ متقاربة خرجها الأئمة، بل افردها بعضهم بالتأليف. وروى الشافعى رضى الله عنه فى مسنده حديثا فى فضل يوم الجمعة، ذكر فيه ان جبريل سمى يوم الجمعة يوم المزيد، وان النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا جبريل، وما يوم المزيد، قال: ان ربك عز وجل اتخذ فى الفردوس واديا افيح، فيه كتب المسك، فاذا كان يوم الجمعة انزل الله تبارك وتعالى ما شاء من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب ويقول الله انا ربكم، قد صدقتم وعدى، فسلونى اعطكم. فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم، ولكم علي ما تمنيتم، ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير. وروى ابو نعيم بسنده: اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك، فيقول الله تعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: وما مائدة الخلد، قال: زاوية من زواياها اوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون، فيقولون: لم يبق الا النظر فى وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجدا، فيقال لهم: لستم فى دار عمل انما انتم فى دار جزاء. قال حجة الاسلام الغزالى: ما معناه النظر اليه تعالى هى اللذة الكبرى التى ينسى فيها نعيم اهل الجنة. فهذه الرؤية هى غاية الحسنى ونهاية النعمى، وكل ما حصل من التنعم لاهل الجنة فيها على هذه النعمة، ينسى ويترك، وليس سرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، بل لا نسبة لشيئ من لذات الجنة الى لذة اللقاء، وذلك اذا اشرف عليهم الحق جل وعلا، وقال لهم: سلام عليكم يا اهل الجنة، ويرونه عيانا فهو اجل ما يرد عليهم من المنح النفيسة فى الجنة، اذ يدعون الى حضرة قربه ومشهد قدسه، وتنصب لهم منابر بين يديه ويشاهدونه كما يشاهد احدنا القمر ليلة البدر، وتتشنف اسماعهم بكلامه سبحانه لهم وقرائته عليهم وتردده اليهم. وفقنا الله للتقوى وخاتمة السعادة، ورزقنا الحسنى

خاتمة

فيما يتعلق برجال الغيب والدليل على وجودهم، قال المحقق ابن حجر رضى الله عنه: رجال الغيب سموا بذلك لعدم معرفة اكثر الناس لهم، رأسهم القطب الغوث الفرد الجامع جعله الله دائرا فى الآفاق الاربعة اركان الدنيا كدوران الفلك فى افق السماء، وقد ستر الله تعالى احواله من الخاصة والعامة غيرة عليه، غير انه يرى عالما كجاهل وأبله كفطن وتاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا، ومكانته من الاولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها وبه يقع صلاح العالم. والاوتاد وهم اربعة لايطلع عليهم الا الخاصة واحد باليمن وواحد بالشام وواحد بالمشرق وواحد بالمغرب. والأبدال وهم سبعة على الاصح، وقيل ثلاثون، وقيل ثلاثة عشر، كذا قاله اليافعى. وسيأتى حديث انهم اربعون وحديث انهم ثلاثون وكل منهما يعكر على قوله الاصح انهم سبعة. والنقباء وهم اربعون والنجباء وهم ثلاثمائة، فاذا مات القطب ابدل بخيار الاربعة، او احد الاربعة ابدل بخيار السبعة، او احد السبعة ابدل بخيار الاربعين، او احد الاربعين ابدل بخيار الثلاثمائة، او احد الثلاثمائة ابدل بخيار الصالحين، فاذا اراد الله قيام الساعة اماتهم اجمعين، وذلك ان الله تعالى يدفع عن عباده البلاء بهم وينزل بهم قطر السماء. وروى بعضهم عن الخضر عليه السلام انه قال: ثلاثمائة هم الاولياء، وسبعون هم النجباء، واربعون هم اوتاد الارض، وعشرة هم النقباء، وسبعة هم العرفاء، وثلاثة هم المختارون، وواحد هو الغوث. وجاء عن علي كرم الله وجهه انه قال: الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء بخرسان، والأوتاد بسائر الارض، والخضر عليه الصلاة والسلام سيد القوم. وفى حديث الامام الرافعى انه صلى الله عليه وسلم قال: ان لله فى الارض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وله اربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وواحد قلبه على قلب اسرافيل، فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة، واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة، واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة، واذا مات من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعين، واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلاثمائة، واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانه من العامة بدفع الله بهم البلاء عن هذه الامة. قال اليافعى رضى الله عنه: قال بعض العارفين: والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث، قال بعضهم: لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه فى جملة الأنبياء والملائكة، لانه لم يخلق الله تعالى فى عالم الخلق

والامر اعز والطف واشرف من قلبه صلى الله عليه وسلم، فقلوب الملائكة والانبياء والاولياء بالاضافة الى قلبه كاضافة سائر الكواكب الى الشمس. ولقد سمعت النجم الأصبهانى رضى الله تعالى عنه خلف مقام ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم يذكر ان الخضر عليه السلام سأل الله عز وجل ان يقبضه عند ما يرفع القرآن، والظاهر والله اعلم ان القطب وسائر الأولياء الموجودين وغيرهم من الموجودين فى ذلك الوقت يطلبون الموت ابضا حينئذ، اذ ليس بعد رفع القرآن تطيب الحياة لأهل الخير بل لا يبقى فى الارض خير. وما ذكرته فى الخضر من حياة الخضر هو ما قطع به الأولياء، ورجحه الفقهاء والأصوليون واكثر المحدثين، وقد احتج به واخبر عنه من لا يحصى من الصديقين والأولياء فى كل زمان، بل والله لقد اخبرونى انه اجتمع بى وسألنى عن شيئ فأجبته ولم اعرفه، لانه لايعرفه الا صاحب استعداد ممن شاء الله، ومبالغة ابن الجوزى فى انكار حياته غلو منه، اذ هو انكار للشمس وليس دونها حجاب بل كلامه فيه متناقض، لانه روى فى حياته اربع روايات بالاسانيد المتصلة عن علي وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم، وكذلك انكاره على اكابر من الصوفية اشياء صدرت عن احوال لا يعرفها وعلوم لا يدركها ولايفهمها، والعجب منه انه يحكى عنهم كلمات عظيمة مزعجة يظهر بها كلامه ثم ينكرها عليهم فى موضع آخر. انتهى كلام اليافعى ملخصا.
والحديث الذى ذكره ان صح فيه فوائد خفية منها: انه مخالف للعدد السابق قبله، وقد يجاب بان تلك الأعداد اصطلاح بدليل وقوع الخلاف فى بعضهم كالأبدال، فقد يكونون فى ذلك العدد نظروا الى مراتب عبروا عنها بالأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد وغير ذلك مما مر، والحديث نظر الى مراتب أخرى، والكل متفقون على وجود تلك الأعداد. ومنها انه يقتضى ان الملائكة افضل من الأنبياء، والذى دل عليه كلام اهل السنة والجماعة، الا من شد منهم ان الأنبياء افضل من جميع الملائكة. ومنها انه يقتضى ان ميكائيل افضل من جبرائيل والمشهور خلافه، وان اسرافيل افضل منهما، وهو كذلك بالنسبة لميكائيل، واما بالنسبة لجبريل ففيه خلاف والأدلة فيه متكافئة، فقيل جبريل لانه صاحب السر المخصوص بالرسالة الى الأنبياء والرسل والقائم بخدمتهم وتربيتهم، وقيل اسرافيل لانه صاحب سر الخلائق اجمعين اذ اللوح المحفوظ فى جبهته لا يطلع عليه غيره، وجبريل وغيره انما يتلقون ما فيه عنه، وهو صاحب الصور القائم ملتقما له ينتظر الساعة والامر به لينفخ فيه فيموت كل شيئ الا من استثنى الله، ثم بعد اربعين سنة يؤمر بالنفخ فيحيون ثم يبعثون. واعلم ان هذا الحديث

لم ار من خرجه من حفاظ المحدثين الذين يعتمد عليهم، لكن وردت احاديث تؤكد كثيرا مما فيه. منها حديث ابى نعيم فى الحلية: خيار امتى كل قرن خمسمائة والأبدال اربعون، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأبدال، كلما مات منهم رجل ابدل الله من الخمسمائة مكانه، وادخله فى الاربعين مكانه يعفون عمن ظلمهم ويحسنون من اساء اليهم، ويتسامتون فيما اتاهم الله وهم فى الارض كلها. ومنها حديث احمد: الأبدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا. ولا تخالف بين الحديثين فى عدد الأبدال، لان البدل له اطلاقات كما يعلم من الأحاديث الأتية فى تخالف علاماتهم وصفاتهم، او انهم قد يكونون فى زمان الأربعين وفى أخر ثلاثين، لكن يعكر على هذا رواية ولا الأربعون، كلما مات رجل الخ، والرواية الأتية وهم أربعون رجلا كلما مات الخ. ومنها حديث الطبرانى: ان الابدال فى امتى ثلاثون، بهم تقوم الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون. وحديث ابن عساكر: ان الأبدال بالشام يكونون وهم اربعون رجلا، بهم تسقون الغيث، وبهم تنصرون على اعدائكم، يصرف بهم عن اهل الارض البلاء والغرق. ومنها حديث الطبرانى: الأبدال فى اهل الشام وبهم تنصرون وبهم ترزقون. ومنها حديث احمد: الأبدال بالشام وهم اربعون رجلا، كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا، تسقون بهم الغيث، وتنصرون بهم على الاعداء، ويصرف عن اهل الشام العذاب. ومنها حديث الجلال الذى رواه فى كرامات الأولياء، ورواه الديلمى ايضا: الأبدال اربعون رجلا واربعون امرأة، كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا، وكلما ماتت امرأة ابدل الله مكانها امرأة. ومنها خبر الحاكم عن عطاء مرسلا: الأبدال من الموالى، ومنها خبر ابن ابى الدنيا مرسلا: علامة ابدال امتى انهم لايلعنون شيئا ابدا، ورفعه معضل. ومنها خبر ابن حبان: لاتخلو الارض من ثلاثين وثمانين مثل ابراهيم خليل الرحمن بهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون. ومنها خبر البيهقى: ان ابدال امتى لم يدخلوا الجنة باعمالهم ولكن انما دخلوها برحمة الله وسخاوة الانفس وسلامة الصدر ورحمة للمسلمين. ومنها خبر الطبرانى فى الاوسط لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن بهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر. ومنها خبر ابن عدى فى كامله: البدلاء اربعون، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه آخر. فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة. ومنها خبر ابى نعيم فى الحلية ايضا: لا يزال الاربعون رجلا من امتى قلوبهم على قلب ابراهيم، يدفع بهم عن اهل الارض يقال

لهم الأبدال، انهم لم يدركوها بصلاة ولابصوم ولا صدقة. قال ابن مسعود رضى الله عنه راويه: فبم ادركوها يارسول الله، قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين. قلت: حكى اعنى المحقق ابن حجر فى موضع آخر قولا: بانه انما سميت الأبدال ابدالا لانهم قد يرحلون لمكان ويخلفون فى مكانهم الأول شبحا آخر شبيها بشبحهم الأصلى بدلا عنه، وقد اثبتت الصوفية عالما متوسطا بين عالمى الاجساد والارواح سموه عالم المثال، وقالوا هو الطف من عالم الأجساد واكثف من عالم الارواح. وبنوا على ذلك تجسد الاجساد وظهورها فى صور مختلفة من عالم، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾، فتكون الروح الواحدة كروح جبريل مثلا، فى وقت واحد مدبرة لشبحه الأصلى، ولهذا الشبح المثالى الخ. قال: ومما جاء فى القطب – كما قال بعض المحدثين – خبر ابى نعيم فى الحلية: ان الله تعالى فى كل بدعة كيد بها الاسلام واهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم بعلاماته، فاغتنموا بحضور تلك المجالس بالذب عن الضعفاء وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا. قلت: حكى بعض الثقات الاثبات من الفقهاء انه قال: جاورت بمكة وكان لى فيها صديق من اولياء الله فسألته ان يرينى القطب، فمكث مدة ثم قال لى اذا رايته لا تكلمه، فمكثت مدة ثم رايته فقبلت يده وجلست ساكنا، ثم التفت القطب وقال: صاحب مصر رجل منكم معشر الفقهاء، فخطر لى ان اسأله عنه فلم يمكننى ذلك، ثم بعد مدة اجتمعت به وكان عندى انى اذا اجتمعت به ان اسأله عن تعيين ذلك الرجل، فالتفت الى وقال: صاحب مصر الآن الشيخ برهان الدين ابن ابى شريف، ثم يكون بعده الشيخ زكريا. قال المحقق ابن حجر: فتأمل هذه الشهادة من القطب لهذين الامامين، ولقد كان زينة مصر بل زينة الدنيا كلها، فانهما كانا لايخافان فى الله لومة لائم، وكيف لا وقد مد على الشيخ زكريا نظر السادة الصوفية ورضع من لبان معارفهم ودخل تحت لواء اشاراتهم، وتزيا معهم حتى اجتلى وتوقد وتفرد وتكشف له معارف وحقائق. وذكر الشعرانى ان شيخه عليا الخواص البرلسى رضى الله عنهما سئل عن القطب الغوث، هل هو دائما مقيم بمكة كما قيل فقال رضى الله عنه: قلب القطب دائما طواف بالحق الذى وسعه، كما يطوف الناس بالبيت، فهو رضى الله عنه يرى وجه الحق تعالى فى كل وجهة، كما يستقبل الناس البيت، ويرونه من كل وجهة، اذ مرتبته رضى الله عنه التلقى عن الحق، تعالى جميع ما يفيضه على الخلق وهو بجسده حيث شاء الله تعالى من الارض، ثم قال يعنى الخواص رضى الله عنه: واعلم ان اكمل البلاد البلد الحرام، واكمل البيوت البيت الحرام، لقوله تعالى يجبئ اليه ثمرات كل شيئ،

واكمل الخلق فى كل عصر القطب، فالبلد نظير جسده، والبيت نظير قلبه. ومما جاء فى جميع من ذكر، اى القطب والأوتاد والابدال وغيرهم، حديث الترمذى الحكيم وابى نعيم فى كل قرن من امتى سابقون، وفى رواية لكل قرن من امتى سابقون، والحديث المشهور يبعث لهذه الامة على رأس مائة سنة من يجدد لها دينها، والحديث الذى رواه الشيخان وغيرهما من طرق كثيرة لاتزال طائفة من امتى ظاهرين حتى يأتى امر الله وهم ظاهرون، وفى رواية لهما، لاتزال طائفة من امتى قائمة على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله و هم ظاهرون، وفى أخرى لابن ماجه لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق قوامة على امر الله لا يضرها من خالفها، وفى أخرى له أيضا لا تزال طائفة من أمتى منصورون لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة، وفى اخرى لمسلم واحمد، لاتزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول اميرهم تعال صل بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امير تكرمة من الله لهذه الامة. تنبيه قال يزيد بن هارون: الأبدال هم اهل العلم اى النافع الذى هو علم الظاهر والباطن لا علم الظاهر وحده. وقال الامام احمد رضى الله عنه: هم ان لم يكونوا اصحاب الحديث، فمن هم، قال المحقق ابن حجر: ومراده باصحاب الحديث من هو مثله ممن جمع بين علمى الظاهر والباطن واحاط بالاحكام والحكم والمعارف والمكامن كالأئمة الثلاثة كالشافعى ومالك وابى حنيفة ونفسه ونظائرهم رضى الله عنهم، فان هؤلاء اخيار الأبدال والنجباء والاوتاد. فاحذر ان تسيئ ظنك بأحد فى مثل اولئك ويسول لك الشيطان ومن استولى عليه، ممن لم يهتد بنور العلم، ان ائمة الفقهاء والمجتهدين لم يبلغوا تلك المراتب. وقد اتفقوا على ان الشافعى رضى الله عنه كان من الاوتاد، وفى رواية انه تقطب قبل موته، وكذلك جاء هذا عن بعض تابعيه من الفقهاء كالامام النووى وغيره. وروى الخطيب فى تاريخ بغداد عن الكتانى انه قال: النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والأخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد. ومسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون فى الارض، والعمد زوايات الأرض، ومسكن الغوث مكة. فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فان اجيبوا والا ابتهل الغوث، فلايتم مسئلته حتى تجاب دعوته. انتهى. وفيه تأييد لبعض مامر ومخالفة له وذلك كله يبين ان تلك الاعداد ترجع الى الاصطلاحات ولامشاحة فى الاصطلاح. ولقد وقع لى فى هذا المبحث غريبة مع بعض

مشايخى، هى انى ربيت فى حجور بعض اهل هذه الطائفة، اعنى القوم السالمين من المحذرو واللوم فوقر عندى كلامهم لانه صادف قلبا خاليا فتمكن فلما قرأت العلوم الظاهرة وسنى نحو اربعة عشر سنة فقرأت مختصر ابى شجاع على شيخنا ابى عبد الله الامام المجمع على بركته وتنسكه الشيخ محمد الجوينى بالجامع الأزهار بمصر المحروسة فلازمته مدة وكان عنده حدة فانجر الكلام فى مجلسه يوما ذكر القطب والنجباء والنقباء، والابدال وغيرهم ممن مر فبادر الشيخ الى انكار ذلك بغلظة وقال هذا كله لاحقيقة له وليس فيها شيئ عن النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له وكنت اصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لا مرية فيه لان أولياء الله اخبروا به وحاشاهم من الكذب وممن نقل ذلك الامام اليافعى وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة فزاد انكار الشيخ واغلاظه علي فلم يسعنى الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرنى الا شيخنا شيخ الاسلام والمسلمين، وامام الفقهاء والعارفين، ابو يحيى زكريا الانصارى رضى الله عنه وكان من عادتي انى أقود الشيخ محمد الجوينى لانه كان ضريرا واذهب انا وهو الى شيخنا المذكور اعنى شيخ الاسلام زكريا يسلم عليه. فذهبت انا والشيخ محمد الجوينى الى شيخ الاسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ محمد الجوينى لابأس ان اذكر لشيخ الاسلام مسألة القطب ومن دونه وننظر ما عنده فيها فلما وصلنا اليه اقبل علي الشيخ الجوينى وبالغ فى اكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعا لى بدعوات، منها اللهم فقهه فى الدين وكان كثيرا ما يدعو لى بذلك فلما تم كلام الشيخ واراد الجوينى الانصراف قلت لشيخ الاسلام ياسيدى القطب والاوتاد والنجباء والأبدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية، هل هم موجودون حقيقة، فقال: نعم، والله يا ولدى فقلت له: يا سيدى ان الشيخ واشرت الى الشيخ الجوينى ينكر ذلك ويبالغ فى الرد على من ذكره، فقال شيخ الاسلام: هكذا يا شيخ محمد، وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد: يا مولانا شيخ الاسلام امنت بذلك، وصدقت به، وقد ثبت، فقال: هذا هو الظن بك يا شيخ محمد. ثم قمنا ولم يعاتبنى الجوينى على ما صدر منى. ونظير هذه الواقعة من بعض وجهها ما وقع لى وعمرى نحو ثمانية عشر سنة مع بعض مشايخنا ايضا وهو شيخ الاسلام الشمش الدلجى، وكان اعطى فى العلوم الشريعة والعقلية من متانة التصنيف وقوة السبك مالم يعطه احد من اهل زمانه. كنا نقرأ عليه ذات يوم فى شرح التلخيص للسعد التفتازانى وفى كتابه صنفه الشيخ فى اصول الدين، فوقع ذكر العارف بالله تعالى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه فى المجلس فبادر الشيخ وقال قاتله الله

ما اكفره، كيف وكلامه ينطق بالحلول والاتحاد، واما شعره ففى الذروة العليا، فقلت له: من بين الحاضرين حاشاه الله من الكفر ومن الحلول والاتحاد. فاغلظ فى الانكار علي وعليه فاغلظت فى جوابه، وكان بالشيخ مرض بضيق النفس وكان قد اخبرنا ان له مدة مديدة لايقدر على وضع جنبه على الارض ليلا ولا نهارا، فقلت له: يا سيدى، انا التزم لك انك ان رجعت عن انكارك على الشيخ عمر بن الفارض وابن عربى وتابعيهما برئت من هذا الداء العضال، فقال: هذا لا يصح، فقلت: صدقوا قولى بالرجوع عن ذلك وجربوه مدة يسيرة، فان ذهب والا فانتم تعرفون ما ترجعون اليه، فقال: يمكن ان نجرب. ثم اظهر لنا الرجوع والتوبة فانصلح حاله وخف مرضه مدة مديدة وكنت اقول له: يا سيدى صحت ضمانتى، فضحك ويعجبه ذلك، وفى تلك المدة ما سمعنا منه عن هذه الطائفة الا خيرا. قلت: ونظيرها من بعض وجهها ايضا، ما ذكره الشعرانى عن شيخه محمد الشناوى رضى الله عنهما ان الشيخ ابا الغيث بن كتيلة احد العلماء بالمحلة الكبرى واحد الصالحين بها كان بمصر، فجاء الى بولات فوجد الناس مهتمين بامر مولد سيدى احمد البدوى رضى الله عنه والنزول فى المراكب، فانكر ذلك وقال: هيهات ان يكون اهتمام هؤلاء بزيارةنبيهم صلى الله عليه وسلم مثل اهتمامهم باحمد البدوى. فقال له شخص: سيدى احمد ولي عظيم. فقال: ثمة فى هذا المجلس من هو اعلى منه مقاما، كانه يشير الى نفسه. فعزم عليه شحص فاطعمه سمكا فدخلت حلقه شوكة تصلبت، فلم يقدروا على نزولها بدهن غطاس ولا بحيلة من الحيل، ووردت رقبته حتى صارت كخلاية النحل تسعة اشهر، وهو لا يلتذ بطعام ولاشراب ولا منام، وانساه الله تعالى السبب فبعد التسعة اشهر ذكره الله تعالى بالسبب، فقال: احملونى الى قبة سيدى احمد رضى الله عنه فادخلوه، فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة، فخرجت الشوكة مغمسة دما، فقال: تبت الى الله نعالى يا سيدى احمد، وذهب الوجع والورم من ساعته. قال اعنى الشعرانى: ووقع شمس الدين ابن اللبان فى حق سيدى احمد رضى الله عنه، فسلب القرآن والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء، فلم يقدر احد ان يدخل فى امره، فدلوه على سيدى ياقوت العرشى، فمضى الى سيدى احمد رضى الله عنه وكلمه فى القبر واجابه، وقال له: انت ابو الفتيان رد على هذا المسكين رسما له، فقال: بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رسما له، وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان فى سيدى ياقوت العرشى. ثم ان سيدى ياقوتا زوج ابن اللبان ابنته ولما مات اوصى ان يدفن تحت رجليها، اعظاما لوالدها الشيخ ياقوت رضى الله عنهما. قال الشعرانى واخبرنى اخى

الشيخ الصالح الحاج احمد الحلبى انه كان له بيت يشرف على ضريح الشيخ محى الدين، فجاء شحص من المنكرين بعد صلاة العشاء بنار يريد ان يحرق تابوت الشيخ، فخسف به دون القبر بتسعة اذرع فغاب فى الارض وانا انظر، ففقده اهله من تلك الليلة فاخبرتهم بالقصة، فجاؤا فحفروا فوجدوا رأسه، فكلما حفروا نزل وغار فى الارض الى ان عجزوا وردموا عليه التراب. والحكايات فى نظير ذلك كثيرة، فنسأل الله تعالى الحفظ عن مثل الانكار على الأولياء، وان يوفقنا للادب معهم حيا وميتا. وذكر الشعرانى ان شيخه عليا الخواص البرلسى رضى الله عنهما سئل عن طائفة المسلكين، كسيد احمد الزاهد وسيدى مدين وأضرابهما رضى الله عنهم هل كانوا اقطابا، فقال رضى الله عنه: لا، وانماهم كالحجاب على الملك، فلا يدخل عليه احد من الناس الا باذنهم وعلمهم، فهم يعلمون الناس الآداب الشرعية والحقيقة، وما يظهر عليهم من الكرامات والأحوال، انما هو لصفاء نفوسهم واخلاصهم وكثرة مراقبتهم ومجاهدتهم. واما القطابة فجل ان يلج مقامها الأحوط غير من اتصف بها، قال وقد بينها الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه، وقال: ان لها ستة عشر عالما الدنيا والآخرة عالم واحد من هذه العوالم، فقيل له فالتصريف الذى يظهر على ايدى هؤلاء المسلكين هل هو لهم اصالة كالقطب ام لا، فقال رضى الله عنه: ليس هو لهم اصالة، وانما هو بحكم الافاضة عليهم من الدوائر التى هى قوتهم كالقطب، وايضاح ذلك ان الله تعالى اذا اراد انزال بلاء شديد مثلا، فاول ما يتلقى ذلك القطب فيتلقاه بالقبول والخوف، ثم ينتظر ما يظهره الله تعالى فى لوح للمحو والاثبات الخصيصين بالاطلاق والسراح، فان ظهر له المحو والتبديل نفذه وامضاه فى العالم بواسطة اهل التسليك الذين هم سدنة ذلك فينفذون ذلك، وهم لا يعلمون ان الامر مفاض عليهم، وان ظهر له الثبوت دفعه الى اقرب عدد ونسبة منه، وهما الامامان فيحتملان به ثم يدفعانه ان لم يرتفع الى اقرب نسبة منهما، كذلك حتى يتنازل الى اصحاب دائرته جميعا، فان لم يرتفع تفرقته الأفراد وغيرهم من العارفين الى عموم المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل بتحملهم، ولو لم يحمل هؤلاء ذلك من العالم لتلاشى فى طرفة عين، قال تعالى: ﴿ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض﴾، وقال تعالى: ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾، اشارة الى القطب الذى هو العمد المعنوى الممسك للسموات، ففيه اشارة الى خفائه فى العالم. وقال فى موضع آخر: ان الخلوة بالله وحده لا تكون الا للقطب الغوث فى كل زمان. فاذا فارق هيكله النور بالانتقال الى الدار الآخرة، انفرد الحق تعالى بشخص آخر مكانه لا ينفرد

بشخصين قط فى زمان واحد. قال وهذه الخلوة وردت فى الكتاب والسنة، ولكن لا يشعر بها الا اهل الله خاصة. قال واما خلوة غير القطب فلا تكون بالله، وانما هى لمزيد الاستعداد والبعد عمن يشغله عن الطاعات من المخلوقين لا غير. ونقل المناوى عن ابن عربى رضى الله عنه من رجال الله رجل واحد، وقد يكون امرأة فى كل زمان، وهو القاهر فوق عباده، له الاستطالة على كل شيئ، منهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق يقول حقا ويحكم عدلا، قال: وكان صاحب هذ المقام عبد القادر الجيلانى ببغداد. وقال اعنى المناوى: رأيت نقلا عن ابى المواهب التونسى رضى الله عنه: ان اول من تولى القطبانية من المصطفى صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء مدة حياتها رضى الله عنها، ثم انتقلت عنها الى ابى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن رضى الله تعالى عنهم. يقول محمد محفوظ بن عبد الله الترمسى، كان الله له، وختم بالصالحات عمله: وليكن هذا آخر هذه المنتخبة التى سميتها [بغية الأذكياء فى البحث عن كرامة الأولياء] وكان نجازها قبيل المغرب يوم الاحد ثامن عشر الربيع الاول سنة ١٣٣٧، فيا ربنا لك الحمد حمدا كثيرا لهيبا، كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك لااله الا انت، سبحانك انى كنت من الظالمين. سبحانك لا نثنى عليك انت كما اثنيت على نفسك، نسألك اللهم ان تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون. رب زدنى علما، ونسألك
اللهم ان تعز الاسلام وتنصر المسلمين القائمين به، ونسألك اللهم ان تفتح علينا
وعلى اولادنا فتح العارفين، بجاه خاتم الانبياء والمرسلين، وان تنفع بهذه
المنتخبة وبجميع مؤلفاتى كافة المسلمين، وان توفقنا جميعا للتقوى
والاستقامة، ثم خاتمة الخير والسعادة، وترزقنا الحسنى
وزيادة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وآله وصحبه اجمعين. والحمد لله
رب العالمين.
آمين ٣

فهرست الكتاب بغية الاذكياء فى البحث عن كرامات الأولياء

تمت